شكرا لمن رفع الكتاب على الشبكة، قمنا بتنسيق الكتاب وتخفيض حجمه
مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

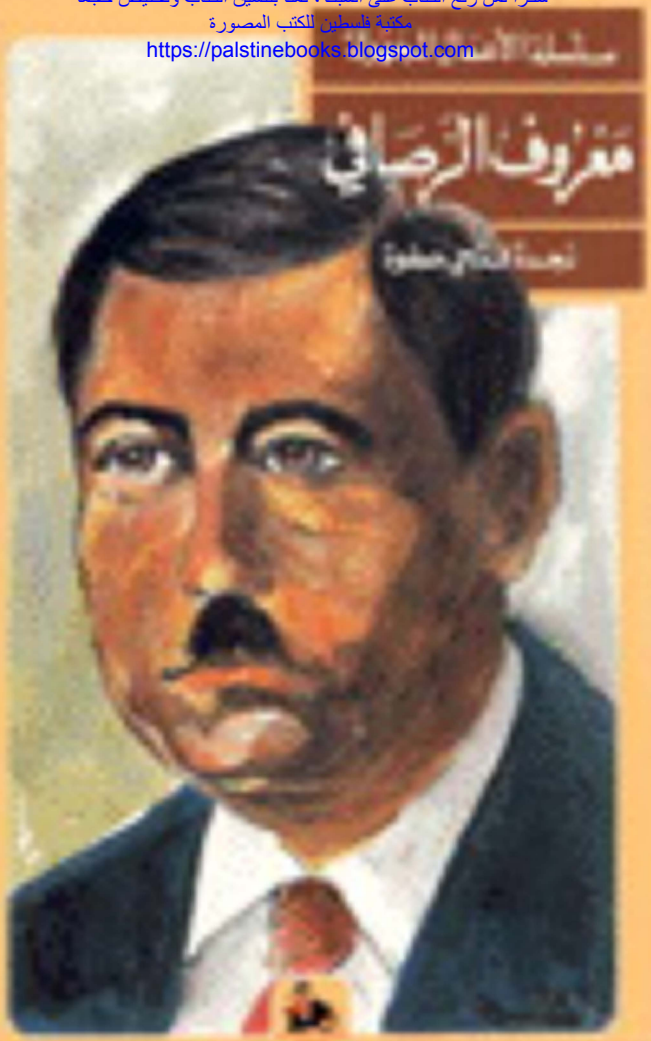

سلسلة الأعمال المجهولة

معروف الرصافي

نجدة فتحي صفوة

RIAD EL-RAYYES BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

4 Sloane Street, London SW1X 9LA

THE UNKNOWN WORKS OF: MA'ROUF AL-RASAFI

COMPILED AND EDITED

by

NAJDAT FATHI SAFWAT

First Published in Great Britain in 1988
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
4 Sloane Street, London SW1X 9LA

British Library Cataloguing in Publication Data Available

ISBN 1 - 869844 - 00 - 9

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

Photosetting by: Riad El-Rayyes Books Ltd., London
Printed & Bound in Great Britain By: Biddles Ltd., Guildford & King's Lynn

محتويات الكتاب

مقدمة ٧

خواطر وافكار ٥٧

الرصافي بقلمه ٥٩

خواطر وأفكار ٦١

لو كنت مصوراً ٦٣

الحق والباطل ٦٤

في عالم الأدب ٦٦

الشعر والحقيقة ٧٠

التصفيق ٧١

التنقيب بالاضافة الى الدين ٧٢

إله بني اسرائيل ٧٥

الأغاني ٧٧

الموسيقى الآلية والصوتية ٧٨

الموت والحياة ٧٩

في معرض اللغة أدعاية أم دعاوة ٨٠

أيضاً ٨١

كتاب القبض ٨٢

الأذان عند المسلمين ٨٣

القرآن في الراديو ٨٩

مقتل الحسين والفتن الإسلامية ٩٢
الاشتراكية في الإسلام ٩٧
مؤلفات الرصافي وما كتب عنه ١٠٣

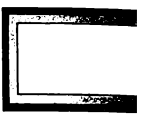

مقدمة

ياتي نشر هذا الكتاب المجهول لمعروف الرصافي مناسبة طيبة لإحياء ذكرى شاعر كان من ابرز اعلام النهضة الشعرية في العراق، ومن اشهر شعراء العربية في الجيل الماضي. ولئن شُغل الجيل الجديد عنه اليوم بغيره من الشعراء المعاصرين الذين يعبرون عن مشاكل العصر وقضايا الساعة، فقد كان الرصافي مثلهم يعبر عن وجدان الأمة، ويشغل العالم الأدبي في زمانه. ومع ذلك، لا يمكن أن يقال ان الرصافي اصبح شاعراً منسياً، فقد احتل مكانة باقية بين شعراء العربية الخالدين، كالمتنبي وابي العلاء والبحتري وابي تمام من القدماء، وشوقي وحافظ والزهاوي من المحدثين. واننا لا نجد في الصحافة الأدبية والسياسية مقالة عن المتنبي كل يوم، ولا قصيدة لشوقي في كل عدد، ومع ذلك فلا يقال انهما اصبحا منسيين.

لقد احتل الرصافي في تاريخ العرب الأدبي مكانة خالدة، وكان في زمانه ملء الدنيا وشاغل الناس، تغنّت بقصائده الركبان، وسارت ابياتها مسير الأمثال. وكانت مواقفه الوطنية والسياسية الجريئة ملء الأسماع والقلوب في العراق والشرق العربي من اقصاه الى اقصاه، وورث مبادئه الوطنية وآراءه الإجتماعية ومدرسته الأدبية جيل كامل من شباب العراق خاصة، والبلاد العربية بصورة عامة.

وقد خلّف الرصافي الى جانب ديوانه الضخم الذي طبع زهاء عشر مرات، ومؤلفاته المطبوعة الأخرى، عدداً من الكتب المخطوطة التي لم يُكتب لها أن ترى النور، ولم يطلع عليها سوى نفر قليل من خاصته ومريديه. ولعلّ بعضها سينتظر مدة طويلة اخرى قبل أن تسمح الظروف وتتسع الصدور لطبعها وتداولها.

ولعل اهم مؤلفات الرصافي المخطوطة واخطرها كتابه «الشخصية المحمدية او حلّ اللغز المقدس»، وهو بحث تحليلي لشخصية الرسول الكريم (ص) كان حصيلة دراسة طويلة وعميقة لكتب السيرة النبوية، وفيه كثير من النظرات الجديدة والآراء الجريئة. وقد راودت الرصافي فكرة تاليفه عام ١٩٢٩، وشغل عنها زمناً، ثم كتبه خلال إقامته في الفلّوجة بين سنتي ١٩٣٣ و١٩٤١. وتوجد نسخة مصورة منه عن النسخة التي كتبها الرصافي بخطه، محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد.

ومن مؤلفات الرصافي المخطوطة ايضاً كتاب بعنوان «الادب الرفيع في ميزان الشعر» وهو مجموعة المحاضرات التي القاها على طلاب دار المعلمين العالية ببغداد في علم العروض والقافية.

ومنها «الرسالة العراقية»، وهو مجموعة بحوث في السياسة والدين والإجتماع، كتبه في الفلوجة عام ١٩٤٠.

ومنها ايضاً «كتاب الآلة والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات» وهو كتاب اشبه بالمعجم يهدف فيه الى تعريب الكلمات التي إستقتها العامة في العراق من لغات اجنبية، كما يدعو الى توسيع الإشتقاق في اللغة ولو كان من غير المسموح إشتقاقه عند العرب لكي تكون اللغة العربية قادرة على التطور ومسايرة تقدم العلوم والفنون الحديثة.

ومن مخطوطات الرصافي ايضاً كتابه الموسوم «دفع المراق في كلام اهل العراق»، وهو محاولة لرد اللغة العامية العراقية الى اصولها والمصادر التي إنتقلت منها اليها.

اما الكتاب الذي بين ايدي القراء اليوم «خواطر وافكار» فقد كتبه الرصافي في الفلوجة عام ١٩٤٠ ايضاً، في دفتر مدرسي صغير، ثم اعاره احد اصدقائه فبقيت المخطوطة لديه حتى وفاة الرصافي، ثم اودعها ذلك الصديق لدى كاتب هذه السطور، فبقيت عنده اكثر من ثلاثين عاماً. وقد ذكرت جميع المصادر التي عددت مؤلفات الرصافي كتاباً مخطوطاً له باسم (خواطر ونوادر)، واغلب الظن انه هو هذا الكتاب. والنسخة التي لدينا ـ وهي بخط الرصافي ـ تحمل على غلافها وصفحتها الأولى عنوان (خواطر وافكار).

ولما شرعت (دار رياض الريس للكتب والنشر) بإصدار «سلسلة الاعمال المجهولة» اعادت الى الذاكرة هذه المخطوطة القيمة للرصافي، وجاءت فكرة نشرها ضمن هذه السلسلة الفريدة، ولكل كتاب أجل.

ومن المعروف ان انتاج الرصافي الشعري قد نضب او كاد في اواخر الثلاثينات، وفقد رنته القديمة وتدفقه السابق. ولكن الرصافي انصرف بعد ذلك

الى التامل في شؤون الحياة والموت، والدين والاخلاق، والادب واللغة، وكتب عدة مؤلفات نثرية اودعها حصيلة افكاره وعصارة ثقافته اللغوية والتاريخية، وهذا الكتاب احدها.

ويحتوي هذا الكتاب على خواطر عنّت له في الادب واللغة والدين والمجتمع. وقد جاءت هذه الخواطر ـ كما قال الرصافي ـ حرة طليقة في سنوحها من كل قيد، لم يرم ورائها الى غاية خاصة، ولا اراد بها إقناع مخالف او ارضاء موافق.

وهذه الخواطر كتبت باسلوب مشوّق وطريف، فيه تركيز عميق، وفيه تحدّ وإثـارة، وهي تفتح آفاقاً جديدة للتفكير، مع ما اتسم به اسلوب الرصافي من متانة العبارة وسهولتها في آن واحد.

ان مكانة الرصافي الأدبية، والشهرة الواسعة التي حصل عليها في زمانه، لم تكن بما ادخله على الشعر واساليبه من تجديد، او ما ابتدعه من اشكال ادبية لم يسبقه اليها سابق من الادباء او الشعراء، بل ان ميزته الحقيقية تكمن في طبيعـة المـوضـوعـات التي تناولها، والجراة التي عالجها بها في بيئة كانت التقاليد ـ من ادبية واجتماعية وسياسية ـ محيطة بها من كل جانب. وفي غمرة الركود الادبي والتاخر الاجتماعي والغفوة السياسية ظهر متحرراً من الافكار القـديمـة ثائـراً عليها ثورة تدعمها الحجة القوية، ونظر الى مجتمعه نظرة متجددة، واعتنق من المبادىء احدثها، وانتقد الأنظمة السياسية والإجتماعية القائمة، ودافع عن مشاعر الأمة وعبر عن نزعاتها الوطنية، ونادى بمحاربة الفقـر والجهل والمرض، وبحقوق المواطن في الحياة الحرة الكريمة، وحقوق المراة في المجتمع، وفعل ذلك بجراة كبيرة، وصراحة لم تكن مالوفة في عهده، ولكن صراحته كانت مقبولة، لانها استندت الى علم غزير ومعرفة واسعة، وشخصيته بقيت محترمة في كل مجتمع عاش فيه، سواء اكان ذلك في استانبول، او دمشق او القدس او في موطنه بغداد.

ولئن ثار الرصافي على القدماء في تفكيرهم، وخرج عليهم في كثير من آرائهم ومعتقـداتهم، فانه جاراهم في اسلوبهم، وفي محافظتهم على الديباجة القوية والبيـان المحكم والسبك المتين والحرص على جمال اللغة العربية وسلامتها، وليس ذلك مما يعاب عليه، بل انه ليزيده فضلا، ويضفي على ادبه عنصراً آخر من القوة.

وقـد نشـا الرصافي نفسه نشاة محافظة، وتلقى دراسة دينية، وترعرع في بغداد في اواخر عهد الدولة العثمانية في بيئة اطبقت عليها التقاليد الموروثة. ولم يكن يعرف غير التركية لغة اجنبية يستعين بآدابها ومراجعها على تغذية طموحه الفكري، واستكمال ثقافته وتنمية شاعريته وتوسيع آفاقه والاطلاع

على ما يجد في العالم المتمدن من مظاهر الرقي الفكري والإجتماعي، ومدارس الفكر السياسي، ومذاهب الادب العالمي. ولكنه مع ذلك نشأ عصري المبادىء والآراء، واسع الأفق، غزير المعرفة، وذلك هو النبوغ الذي لا يتقيد بزمان ولا مكان، وإنما يصدر من حين الى حين كالانتفاضة عن وجدان الأمة في شخص احد ابنائها الموهوبين، الذين لا يجود الزمان بمثلهم الا من حين الى حين.

نشأة الرصافي

ولد الرصـافي في محلة القـره غول في بغـداد عام ١٢٩٤ هجـرية (١٨٧٥ ميلادية) في عهد السلطان عبد العزيز.

وكان ابوه، عبد الغني محمود، عريفاً في الجيش العثماني، كردي الأصل من عشيرة الجبارة (او الجبارية) في لواء كركوك. اشترك في الحرب الروسية عام ١٨٧٧، فلما عاد انخرط في سلك الدرك (الجندرمة) الذي كان يتولى المحافظة على الأمن خارج المدن، ولذلك كان كثير الأسفار، قلما يقطن بغداد، ولم يكن إبنه معروف يراه إلّا لماماً، وقد عنيت بتنشئته امه (فاطمة بنت جاسم) التي لم تلد سواه، فتعلقت به وتعلق بها، وكان لها اثر عميق في نفسه، وهي التي «كانت مرجعه في كل شيء، حتى بعد تجاوزه العقد الاول من حياته، وهي التي كانت ترسله الى الكتّاب وهو صغير، وهي التي كانت تجهز له كل ما يلزم لذلك».

وواظب معروف على الذهاب الى الكتاب، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادىء الكتابة، ثم انتقل الى الدراسة الابتدائية، وبعد ثلاث سنوات تركها وانتسب الى المدارس الدينية، ودرس في بادىء الأمر على يد عدد من كبار العلماء في بغداد، ثم التحق بحلقة علامة عصره الشيخ محمود شكري الألوسي، وأخذ يتلقى عليه علوم الدين والفقه وعلوماً أخرى كاللغة والمنطق. ولازم الرصافي استاذه اثنتي عشرة سنة. وكان الاستاذ معجباً بنبوغ تلميذه وذكائه المفرط، وهو الذي اطلق عليه لقب (الرصافي) تيمناً بأن يكون صنو سميّه معروف الكرخي.[1] وفي هذه الحقبة من حياته بدا الرصافي بنظم الشعر على الطريقة القديمة، وكان اكثر ما ينـظم في سبيـل التـدريب ولتقوية ملكته الشعرية في مدح استاذه الألوسي وتهنئته في شتى المناسبات.

---

(١) معروف الكرخي (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ ، ٨١٥م) من اعلام الزهّاد والمتصوفين. ولد في كرخ بغداد واشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك وكان الامام احمد بن حنبل من جملة من يختلف اليه وهو مدفون في المقبرة المعروفة باسمه في بغداد.

الرصافي شخصية خيالية

ولما بلغ مرحلة الشباب عُيّن معلماً في احدى المدارس الاولية، وتدرج في وظائف التعليم حتى اصبح مدرساً في المدرسة (الاعدادية) الرسمية وكان لا يزال يرتدي العمامة البيضاء والجبة، ويرسل لحيته. واخذ الرصافي ينشر قصائده في المجلات والجرائد المصرية والسورية، ومنها (المقتبس) و(المؤيد) و(المقتطف) حتى ذاعت شهرته، ونال اهتمام القراء واعجاب الادباء في العالم العربي وفي المهجر. وبلغ من اعجاب الناس بقصائده ان بعضهم حسب ان (معروف الرصافي) هو اسم مستعار لشاعر كبير لا يريد الإفصاح عن هويته. حتى ان الصحافي اللبناني نعوم لبكي ـ والد الشاعر صلاح لبكي ـ كتب مقالة في جريدة (المناظر) التي كان يصدرها في نيويورك قال فيها إن «معروف الرصافي» توقيع مستعار لشاعر عربي عظيم موطنه غير بغداد التي يتظاهر بالانتساب اليها على صفحات الجرائد، اذ يستحيل ان ينبغ في العراق المتأخر في ادبه وعلومه في هذه الأيام، وفي غيهب الاستبداد الحميدي وتضييق الخناق على المفكرين الاحرار، مثل هذا الشاعر الحر، الذي يختلف في جرائه وسعة افقه، فضلا عن دبياجته البديعة. فانبرى للردّ عليه محمد كرد علي في مقالات نشرها في جريدة (المؤيد) القاهرية، وكثر الأخذ والرد بينهما واثبت محمد كرد علي ان معروف الرصافي هو الأسم الحقيقي لشاعر معاصر من بغداد حقاً.[٢]

وإذا ذهب الظن بنعوم لبكي الى ذلك وهو بعيد في المهجر، وكان له في ذلك بعض العذر، فان الشاعر المشهور بشارة الخوري (الأخطل الصغير) المقيم في لبنان كتب في هذا المعنى ايضاً قائلاً:

«سبقت الرصافي شهرته الينا بما كانت تنشره له صحف مصر قبل إعلان الدستور من غرر القصائد، تنبعث منها نفحات الحرية، ويتطاير من جوانبها شرار الوطنية، حتى اعتقدنا ان معروف الرصافي اسم مستعار لشاعر عراقي كبير...»[٣]

وواظب الرصافي على تدريس اللغة العربية في المدرسة الاعدادية حتى اعلان الدستور الثاني في العاشر من تموز (يوليو) ١٩٠٨. وكان اعلان الدستور حدثاً خطيراً قوبل بتأييد شامل واحدث في ارجاء الدولة ضجة كبيرة، ورحب به الشعراء العرب والأتراك. ونظم الرصافي بهذه المناسبة قصيدة من غرر قصائده

---

(٢) رفائيل بطي، مقالة في مجلة (الأديب) الجزء الخامس، السنة الرابعة، بيروت ١٩٤٥.

(٣) رفائيل بطي، جريدة (البلاد)، بغداد، العدد ١٨٨ لسنة ١٩٣٠.

الأولى قائلاً في مطلعها:

اكـرم بتـمـوز شهـراً إنّ عاشره قد كان للشرق تكـريـمـاً وتـعـزيـزا
شهر به الناس قد اضحت محرّرة من رقّ من كان يقـفـو إثـر «جنكيـزا»

واخذ نشاط جمعية الاتحاد والترقي ـ وهي في الواقع حزب سياسي سمي «جمعية» ـ يزداد، ودائرة نفوذها تتسع، وكان مما عمد اليه الاتحاديون انشاء فروع واندية للجمعية في مختلف المدن العربية وفي الدولة العثمانية، وجعلوا ازمّتها في ايـدي موظفـين او ضباط متحمسين لمبادئها، وقد افتتح اول فرع لجمعيـة الاتحـاد والترقي في بغداد عام ١٩٠٨، وكانت عضويته في البداية تقتصر على المـوظفـين وضباط الجيش وبعض اليهود، ولكنها حظت بتاييد بعض العراقيين المثقفين.

وقـرر (الاتحاد والترقي) على اثر اعلان الدستور اصدار جريدة في بغداد باللغتـين العـربية والتركية اسمها (بغداد)، واختير الرصافي رئيساً لتحرير القسم العربي فيها. وقد صدر العدد الاول من الجريدة في ٦ آب (اغسطس) سنة ١٩٠٨.[٤]

حادثة جامع الوزير

وفي تلك الآونـة حدثت في بغداد حادثة (جامع الوزير) التي كان الرصافي محورها. فقد كان من اهم الاجراءات التي استتبعت اعلان الدستور العثماني إعادة الحياة النيابية ـ وكان السلطان عبد الحميد قد عطلها منذ سنة ١٨٧٨ ـ واجـراء الانتخـابـات العامة في ولايات الدولة. ولما اقترب موعد الانتخابات ارسلت جمعيـة الاتحـاد والتـرقي الى بغـداد وفـداً مهمته تهيئة الجو لها، وتـوجيهها لمصلحـة الاتحاديين. واعد الاتحاديون في بغداد للوفد استقبالاً فخماً، وبالغوا في الترحيب به، وصادف ان كان وصول الوفد في يوم السبت، حين يعطل اليهود اعمالهم، فخرجت اعداد كبيرة منهم للمشاركة في الاستقبال. وكان «مكتوبجي» الولاية ـ اي «مدير التحريرات» ـ اتحادياً بارزاً. وقد شوهد خلال مراسم الاستقبال وهو يدخن علناً قبل غروب الشمس، وكان شهر رمضان في منتصفـه، مما سبب نفرة كبيرة من الاتحاديين الذين كانوا يُتهمون اصلاً بالخروج على الدين، والتعاون مع الانكليز واليهود والماسونيين.

---

(٤) كان صاحب هذه الجريدة ورئيس تحريرها المسؤول (مراد بك سليمان) شقيق كل من محمود شوكت باشا الذي أصبح رئيساً للوزراء في الدولة العثمانية، وحكمت سليمان الذي أصبح رئيساً للوزراء في العراق.

واعلن عقب وصول الوفد عن عقد اجتماع كبير في اليوم التالي في احد جوامع بغداد الكبيرة، وهو (جامع الوزير)، وفي الوقت المحدد حضر الى الجامع عدد كبير من اعيان بغداد وكتابها وادبائها وقيل إنه كان بينهم عدد من اليهود ايضاً، وكان الناس يؤدون صلاة العصر. فصعد الرصافي على كرسي اعد له في صحن الجامع، وقرا خطاباً حمله الوفد معه من استانبول في الدعوة لمبادىء حزب الاتحاد والترقي «الذي يعمل على تحقيق حرية الشعب ونشر العدل بينهم ومساواتهم في الحقوق» وتشجيع الناس على انتخاب من يتوسمون فيه الكفاءة الشخصية، وليس استناداً الى نفوذه المحلي وثروته.

ولما انتهت تلاوة الخطاب، وتفرق الناس، اشاع خصوم الاتحاديين ان القوم اهانوا الدين الاسلامي في الجامع وادخلوا اليهود الى حرمه، وان معروف الرصافي اسكت قارىء القرآن او الواعظ واهانه. وانتشر الخبر في بغداد، فثارت ثائرة اهلها، وخرج الناس في مظاهرات صاخبة، وتبعهم الغوغاء والصبيان، وطافوا في شوارع بغداد واسواقها وهم ينادون: (الدين يا محمداه).

ويروي علي ظريف الأعظمي ان المتظاهرين بينما كانوا ينادون (الدين يا محمداه)نهبوا في طريقهم الأسواق، وسلبوا بعض اليهود، واعتدوا على كثير من الناس وفعلوا افعالاً مخزية، ثم صاروا يدخلون السراي ويخرجون منه منادين بطلب الحكم بالشريعة الاسلامية ولغو الدستور.

وازاء هذا الهياج الشعبي العارم، اضطر الوالي - الذي لم يكن اتحادياً - الى توقيف الرصافي واثنين آخرين تهدئة للناس وتفادياً لمزيد من المظاهرات والاضطرابات. واحتُجز الثلاثة يوماً او بعض يوم، ولما قرر الوالي الإفراج عنهم رفضوا مغادرة السجن حتى يعرفوا ما هي المعلومات التي استُند اليها في توقيفهم.(٥)

وواصل الرصافي عمله الصحفي ونشاطه الأدبي ونشر قصائده الوطنية والسياسية الجريئة، ولعله كان الشاعر الوحيد الذي طالب بخلع السلطان عبد الحميد عقب اعلان الدستور، بل انه دعا الى إسقاط الملكية، وكان أول شاعر عربي حبذ النظام الجمهوري في قصيدته «رقية الصريع» التي قال فيها:

---

(٥) انظر في تفاصيل هذا الحادث: علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، وخواطر واحاديث في التاريخ (فصل بعنوان «من أحداث بغداد في عهد الدستور العثماني سنة ١٩٠٨») لكاتب هذه السطور، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٤ - ٢٦، وهنالك ايضاً تقرير للمقيم السياسي والقنصل العام البريطاني في بغداد في ذلك الوقت، الكرنل رامزي، الى سكرتير حكومة الهند بتاريخ ١٩ تشرين الأول سنة ١٩٠٨، محفوظ في مركز الوثائق العامة بلندن برقم: (F.O 371/560 (42965

كيف القرار على امور حكومة ... حادت بهن عن الطريق الامثل
في الملك تفعل من فظائع جورها ... ما لم تقل، وتقول ما لم تفعل
ابت السياسة ان تدوم حكومة ... خُصّت براي مقدس لم يُسال
يا امة رقدت فطال رقادها ... هبّي، وفي امر الملوك تاملي
ان الحكومة وهي جمهورية ... كشفت عماية قلب كل مضلل

في الآستانـة

على ان حزب الاتحاد والترقي بعد ان استتبت له الامور، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، حاد عن مبادئه تدريجياً، اتّجه الى إتباع سياسة قومية تركية، فساء ذلك القوميات الأخرى بعد ان كان ولاؤها للدولة يقوم على اساس الرابطة العثمـانيـة التي إجتمعت تحت لوائهـا جميـع القـوميات في الامبراطورية العثمانية. وكان من اكثر الصحافيين الاتراك عداوة للعرب وبغضاً لهم (احمد جودت) صاحب جريدة (إقدام) التي كانت تصدر في استانبول. فقام جماعة من العرب المقيمين في العاصمة بإهانة صاحبها كما اهان عروبتهم، وذهب عدد من النـواب العـرب في (مجلس المبعوثان) الى الصدر الاعظم ـ رئيس الوزراء ـ وشكوا إليه تجني الجريدة وصاحبها، فارضاهم بتعطيل الجريدة ومصادرتها. ولم يلبث صاحبها ان أعاد إصدار جريدته باسم جديد، واعتذر الى العرب عما كان منه، كما اعلن عزمه على إصدار جريدة عربية تشيد بذكر العرب وتقرب الهوة بينهم وبين الترك. فارسل الى معروف الرصافي، وكانت شهرته قد وصلت عاصمة الدولة، يطلب اليه الشخوص الى استانبول للتعاون معه في إصدار هذه الجريدة. ولقي هذا العرض هوى في نفس الرصافي فلبى الدعوة واسرع الى استانبول، ولكنه وجد ان احمد جودت لم يكن صادق الرغبة فيما وعد، واحتج بانه لم يحصل على المعونة اللازمة من شباب الترك لتحقيق هذا المشروع، فعاد الرصـافي الى بغداد مارّاً في طريق عودته ببيروت. وهناك احتفت به الأوساط الأدبية حفاوة كبيرة، وانزله امين الريحاني ضيفاً في منزله.

ديـوان الـرصـافـي

واتفق الرصافي خلال إقامته في بيروت مع (المكتبة الاهلية) على نشر مجموعة من شعـره، فصـدرت في عام ١٩١٠ بعنوان (ديوان الرصافي)، وكان هذا أول ديـوان يصـدر لـه. وقـد عني صديقـه محيي الدين الخياط بترتيب الديوان وتبـويبـه وكتب مقـدمـة له في شاعـرية الرصافي، كما عني الشيخ مصطفى

الغلاييني بشرح الفاظه.

قوبل صدور (ديوان الرصافي) باستحسان كبير، واهتمت به الأوساط الادبية اهتماماً عظيماً، وكُتبت عنه مقالات لا يمكن حصرها، ومن اهمها مقالة للأب لويس شيخو في مجلة (المشرق). كما كتب العلامة الشيخ عبد القادر المغربي مقالة طويلة في تقريظ الرصافي، قال فيما قاله فيها:

«... وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية، على قدر حظ هذه الأقطار من إقتباس تلك الحضارة، وارتقاء مَلَكة اللغة العربية في نفوس أهلها، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار، ومن ثمّ نبغ فيها شعراء ادركوا أن الشعر ارفع من أن يخدُم كيس الغني وحسن الثغر، وان الشعراء في الشعب بمنزلة الحُداة في الركب، فهم يوجهون الى الرقي تيار عزيمته، ويذكون في حب الاصلاح الاجتماعي نار حميته.

«ولكن لم يخطر ببالنا ان يقوم في بلاد العراق على تاخرها، بالنسبة الى مصر، شاعر يبذّ النابغين، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين، أريد به السيد معروفاً الرصافي. فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به، وبمكانة صاحبه»...

ثم قال المغربي:

«... اما مطالبه او اغراضه الشعرية العليا، فهي من اشرف الأغراض وانبلها، واعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين ابنائها.... وربما لم يقم الى اليوم في بلادنا شاعر مثله، ابدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه...

«على انه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الإجتماعية مشارك، فانه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه احد من الشعراء المعروفين...»[٦]

العودة الى الأستانة

ولم تطل إقامة الرصافي في بغداد، فقد كانت شهرته في الشعر والصحافة اصبحت واسعة جداً، ولم يلبث ان تلقى برقية من (جمعية اصدقاء العرب) في استانبول تدعوه للعودة اليها لتولي رئاسة تحرير صحيفة (سبيل الرشاد) التي كان يصدرها احد اعضائها. وكان من ابرز اعضاء تلك الجمعية الشاعر جميل صدقي الزهاوي، والعلامة فهمي المدرس، وكلاهما عراقيان من أصدقائه.

(٦) أورد المغربي جزءاً من هذه المقالة في المقدمة المفصلة التي كتبها بعد ذلك للطبعة الثانية من ديوان الرصافي. وقد صدرت عن (مطبعة المعرض) في بيروت عام ١٩٣١، في مجلد أنيق احتوى على صور فنية بريشة الفنان رافت بحيري. وأعيد نشر تلك المقدمة في الطبعات التالية للديوان.

عاد معروف الرصافي الى استانبول ثانية، وبدأ حياة جديدة. فقد احب هذه المدينة، وأسره جمالها، وطابت له المعيشة فيها. وهنالك غير زيه فخلع العمامة والجبة، وارتدى الزي الافرنجي، وحلق لحيته، وتزوج من امراة تركية، واصبحت له صلات جيدة برجالات الدولة الذين قدروا علمه وفضله، فاصبحت له مكانة إجتماعية مرموقة. وعُرض عليه منصب تدريس اللغة العربية في (المدرسة الملكية الشاهانية) وهي من ارقى كليات العاصمة، وتدريس الخطابة في (مدرسة الواعظين) التي اسستها وزارة الاوقاف، فاضطلع بالعملين الى جانب عمله محرراً لجريدة (سبيل الرشاد).

وقد نُشرت محاضرات الرصافي في مدرسة الواعظين في كتاب بعنوان (نفح الطيب في الخطابة والخطيب).

واصبحت للرصافي مكانة إجتماعية مرموقة في الدولة العثمانية، وكان موضع التقدير والاحترام بين رجالاتها، حتى ان طلعت باشا، اقوى رجال «الاتحاد والترقي»، ووزير الداخلية في ذلك الحين (ورئيس الوزراء فيما بعد) اخذ يدرس اللغة العربية وآدابها عليه، وكان إذا تحدث عنه ذكره قائلا: «شيخي معروف افندي الرصافي»، ولم يكن الرصافي في ذلك الوقت قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره.

وكان طلعت باشا هو الذي قرّب الرصافي من جمعية الاتحاد والترقي، ثم رشحه لعضوية (مجلس المبعوثان) في عام ١٩١٢، فاصبح نائباً عن لواء المنتفق، وزامل في ذلك المجلس نائباً شاباً من الحجاز اسمه (الشريف فيصل)، ولم يكن ليخطر لأي منهما في ذلك الوقت ببال ان هذا الشاب الحجازي سيتوج بعد اقل من عشر سنوات ملكاً على العراق، وان الرصافي سيصبح من اشدّ مناوئيه. وكان ذلك المجلس هو المجلس الثاني بعد إعلان الدستور، وقد بقي الرصافي عضواً فيه حتى بعد إنتهاء مدته عام ١٩١٦، إذ لم تجر إنتخابات جديدة وإنما اكتُفي بتمديد مدة المجلس القائم.

العثماني والاتحادي

وقد وقف الرصافي على الدوام موقف التاييد من الدولة العثمانية وسياستها، وساير الاتحاديين، ولكنه لم ينتم الى حزبهم بصورة رسمية على حد قوله[٧]، وان

---

(٧) الدكتور وميض عمر نظمي، **الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق**، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨٠ ـ وقد اشار المؤلف الى ما اطلع عليه من أوراق كامل الجادرجي التي كان فيها ما يدل على أن الرصافي نفى أنه كان منتمياً الى الحزب. كذلك أنظر: مجلة **الثقافة الجديدة**، بغداد، العدد الأول، نيسان ١٩٤٥.

لم يكن ذلك امراً كبير الدلالة، بعد ان ايّدهم بصراحة تامة واندفاع كبير. واختير رئيساً لتحرير الصحيفة الناطقة باسمهم في بغداد.

ومع ذلك كان الرصافي على اتصال ايضاً بالهيئات والجمعيات العربية التي آزرها فيما كانت تطالب به من منح العرب حقوقهم، بل انتقد سياسة الاتحاديين تجـاه العـرب منذ سنة ١٩٠٩ على الرغم من علاقاته الوثيقة معهم. ولما قام اعضاء «جمعية الاصلاح العام في ولاية بيروت» مطالبين بإصلاح الأوضاع في ولايتهم، حيّاهم الرصافي بقصيدته «في معرض السيف» ودعا جميع العرب الى الانضمام اليهم، وانتهاز الفرصة لتحقيق اهدافهم، وفيها قال:

ومن يعش وهو مِضياع لفرصته ... ذاقَ الشقاءَ وادمى كفّه الندمُ
وكلُّ من يدّعي في المجد سابقةً ... وعاشَ غير مجيد فهو متّهم

وفي سنة ١٩١٠ اسقط الاتحاديون وزارة حلمي باشا، واقاموا وزارة حقي باشا مكانها، فبلغ من جراة الرصافي ان أرسل الى جريدة (المؤيد) بمصر قصيدة بعنوان «شكوى الى الدستور» انتقد فيها خطة الاتحاديين الذين كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجـالهم، ويجعلونها تابعة في اعمالها وسياستها لاوامرهم ونواهيهم، وقال مخاطباً الدستور:

فهل ايها الدستور تسمع شاكياً ... بك اليوم يرجو ان يرى نهضة الشرقِ
قد استاثروا بالحكم وارتزقوا به ... وسدّوا على من حولهم منبع الرزقِ
كانّا لهم شاءٌ فهم يحلبوننا ... وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزّقِ
اترضى بان تختصّ بالحكم معشراً ... وتُصبح للباقين حبراً على ورَقِ
ولم نكُ ندري لاهتضام حقوقنا ... انحن من الأحرار ام نحن في رقِ
وماذا عسى يجدي سُقوط وزارةٍ ... إذا لم تقم اخرى على العدل والحقِ
مضى كاملٌ من قبل حلمي، وان جرى ... كما جريا حقّي، فمثلهما حقي[٨]

ثم قال محذّراً الاتحاديين من مغبة سياستهم إنهم إذا لم يعترفوا بحقوق العرب، فان العرب سينتزعون حقوقهم بالقوة:

تعالوا الى امرٍ نساويه بيننا ... وبينكم في الجلّ منه وفي الدِقِ[٩]
فان يفعلوا هذاً فيا مرحباً بهم ... وإلّا فيا سحقَ المعابد من سَحَقِ
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا ... وشيب وشبان على ضمر بُلقِ[١٠]

---

(٨) كامل باشا، وحلمي باشا، هما رئيسا الوزراء اللذين كانا في الحكم قبل حقي باشا، ويريد الرصافي ان حقي باشا إذا سار مسيرتهما فسيكون مصيره مثل مصيرهما.

(٩) الجِلّ والدِقّ، وكلاهما بالكسر، الجليل والدقيق، أي العظيم والحقير.

(١٠) أي على خيل ضمَر بلق، جمع ضامر، وهو القليل اللحم والدقيق، وجمع ابلق، وهو الذي فيه سواد وبياض.

المؤتمر العربي في باريس

وفي حزيران (يونيو) سنة ١٩١٣ عقد المؤتمر العربي العام في باريس، وكان عقده دعماً لكل الجمعيات السياسية في الوطن العربي بفتحه المجال لمناقشة قضايا العرب وحقوقهم ضمن الامبراطورية العثمانية، والتاكيد على ضرورة الاصلاح على اساس اللامركزية[١١]. وعلى الرغم من ان الرصافي ايّد مطالب الاصلاحيين في بيروت، فانه حين اطلع على اللائحة التي قدموها للمؤتمر، ورأى انها تقوم على أساس الأديان قال في قصيدته «ما هكذا»:

راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة ... خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
عدّوا النصارى وعدّوا المسلمين بها ... ونحن نعهدهم طرّا أعاريبا

كما انه انتقد عقد المؤتمر في باريس، وشبّه الذين حضروه بالحملان تطلب مساعدة الذئب:

قل «للعريسيّ»[١٢] والأنباء شائعة ... والصحف تروي لنا عنه الاعاجيبا
علام تعقد في باريس مؤتمراً ... ما كنت فيه برأي القوم مندوبا
وهل تعمد «حقي العظم»[١٣] فعلته ... لما نمى خبراً «للطان» مكذوبا
إذ راح يستنجد الافرنج منتصفاً ... كانه حمل يستنجد الذيبا

وكان الرصافي، ببعد نظره، كان يقرأ الغيب يوم نظم هذه القصيدة في سنة ١٩١٣ قبل قيام الحرب العالمية الأولى، واقتسام الدول الغربية للأقطار العربية وتنكرها لوعودها لهم:

لو كان في غير باريز تالّبهم ... ما كنت احسبهم قوماً مناكيبا

---

(١١) أنظر دراسة عن المؤتمر العربي في باريس في كتاب (وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣، والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به) تقديم ودراسة وجيه كوثراني، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠.

(١٢) عبد الغني العريسي (١٨٩١ ـ ١٩١٦) أحد منظمي المؤتمر العربي في باريس وسكرتيره (أما الآخرون فهم عوني عبد الهادي ومحمد المحمصاني وجميل مردم وتوفيق فايد) وهو من الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا في بيروت في سنة ١٩١٦، ولد وتعلم في بيروت ودرس الصحافة في باريس واشترك مع الامير عارف الشهابي في إصدار جريدة (المفيد) في بيروت ثم في دمشق. وقد طلبته الحكومة فهرب الى البادية مع الشهابي وآخرين وقبض عليهم في القطار وهم يحاولون السفر الى الحجاز وسيقوا الى الديوان العرفي في «عاليه» وحكم عليهم بالاعدام. وكان العريسي كاتباً جميل الاسلوب، ووطنياً جريئاً اشترك في اكثر الحركات القومية في ذلك العهد.

(١٣) أرسل «حقي العظم» الذي كان يقيم آنذاك بمصر، ببرقية الى جريدة «الطان» الفرنسية، يطلب فيها الى الحكومة الفرنسية ان تتدخل في أمر سورية.

لكن باريز ما زالت مطامعها ... ترنو الى الشام تصعيداً وتصويبا
ولم تزل كل يوم من سياستها ... تلقي العراقيل فيها والعراقيبا
هل يامن القوم ان يحتل ساحتهم ... جيش يدك من الشام الاهاضيبا[١٤]

ولما نشرت هذه القصيدة التي انتقد بها الرصافي دعاة الإصلاح واللامركزيين ضج لها ضجيجهم، واخذت صحفهم تشنع عليه وترميه بشتى التهم. فبلغه الامر في الاستانة، وازعجه كثيراً وارقه، فكتب قصيدته المعنونة «في ليلة نابغية» وقد جاء فيها:

برئت للعرب العرباء من فئة ... ينمون للعرب الا انهم سقط
اين المكارم ان هم اصبحوا عربا ... فانها في طباع العرب تشترط
ان يغمطوني لاني جئت انهضهم ... فاي مستنهض ذي نجدة غمطوا

وفي القصيدة هجاء مقذع لمنتقديه:

هم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا ... فما هنالك الّا اللغو واللغط
يستنثرون صغاراً من معاطسهم ... ولا يبالون ان قالوا وان ضرطوا
العار يرحل معهم اينما رحلوا ... والخزي يهبط معهم اينما هبطوا
الخلق كالخط لا تقرا لئامهم ... واشطب عليهم بنعل انهم غلط

الحرب العالمية الأولى

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤، ودخلتها الدولة العثمانية الى جانب المانيا، دعا الرصافي الى الجهاد دفاعاً عن «الوطن»:

يا قوم إن العدا قد هاجموا الوطنا ... فانضوا الصوارم واحموا الأهل والسكنا
واستنفروا لعدوّ الله كلّ فتى ... ممن نأى في اقاصي ارضكم ودنا

وطالب بتحرير مصر وعدن من الانكليز:

عار على المسلمين اليوم انهم ... لم ينقذوا مصر او لم ينقذوا عدنا

والتفت الرصافي الى مصر، وهاجم السلطان (حسين كامل)، ووزيره (حسين رشدي)، لمشايعتهما الانكليز، وعدم وقوفهما الى جانب الدولة العثمانية باعلان الجهاد، فقال:

قل للحسينين في مصر رويدكما ... قد خنتما الله والاسلام والوطنا

ولم ينس الرصـافي وطنـه العـراق، وكانت القوات البريطانية، على وشك

---

(١٤) احتل الجيش الفرنسي سورية بعد ذلك كما هو معروف، كما قصف مدينة دمشق بالمدافع في سنة ١٩٤٥.

النزول في اراضيه:

ورب مستصحب لي قال يخبرني ... ان العدو الى ارض العراق دنا
فقلت: دع عنك هذا، إنه خبر ... سواه يبعث في احشائي الشجنا
إنْ صَحَّ ان العدوَّ اليوم مقترب ... الى العراق فقد اكدى وقد افنا

الثورة العربية

وفي سنة ١٩١٦ قامت الثورة العربية بتحالف الشريف حسين، شريف مكة وامـيرها مع الحكومة البريطانية، ضد الدولة العثمانية، وكان قيامها مبعث احراج كبير للرصافي.

ان احداث الثورة وظروفها وملابساتها معروفة، وتاريخها مدون في دراسات عديدة، ويعنينا منها هنا موقف الرصافي منها، وهو لم يكن موقف التاييد، وكان لهـذا المـوقف اثـره البعيـد في اتجـاه الرصـافي السياسي، وفي جميع مواقفه السياسية التالية، بل وفي مستقبل حياته كلها.

وبينما كان معظم الشعراء العرب الوطنيين يرحبون بالثورة، ويرون فيها طريقاً لاستقلال الأمة العربية وفاتحة خير لها ـ مهما كانت نتائج الثورة فيما بعـد ـ وفي الوقت الذي رحب فيه بالثورة وبالشريف حسين شاعر مثل فؤاد الخطيب بقصيدته التي اشتهرت كثيراً:

حيّ الشريف وحيّ البيت والحـرما ... وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

وقف الرصافي منها موقف المعارض، وشجب القيام على الدولة العثمانية في وقت محنتها، واعتبر ذلك خيانة للدولة الاسلامية، واستعانة بالأجانب عليها، وهجا الشريف حسين هجاء مراً، فقال ولعله كان يعارض قصيدة الخطيب:

دع الحسينين في مصر وبغيهما ... ففي الحجاز حسين ثالث لهما
هذان قد اخجل الأهرامَ بغيُهما ... وبغيُ ذاك اخزى البيتَ والحرما

وكان الرصافي على الدوام لا يطمئن الى الأجانب، ويرتاب في مطامع الغرب، ولذلك لم يرتح لعقد المؤتمر العربي في باريس، وسخر من مدنية الغرب قائلا:

الى الله نشكو الأمر من مدنيّة ... تعارض في اوصافها الكذب والصدق
وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدعي ... باشياء من بطلانها ضحك الحقّ
فهم منعوا رقّ الأسير وانما ... اجازوا لهم ان يشمل الأممَ الرق

ولمـا سقطت بغداد بيد الانكليز في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ قال الرصافي في قصيدة عنوانها «نواح دجلة» مخاطباً الأتراك آسفاً على خروجهم من بغداد ومعاتباً:

كيف يغضون عن اغاثة واد زانه من ودادهم اوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
انا باق على الوفاء وان كا نت بقلبي ممن أحب جراح
فاليهم ومنهم اليوم اشكو بلغيهم شكايتي يا رياح

واخيراً انتهت الحرب باندحار المانيا وحليفتها تركيا، ووقّعت اتفاقية الهدنة، وكانت قوات الثورة العربية قد وصلت الى دمشق بقيادة (الأمير) فيصل بن الحسين في ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨، ثم قامت فيها الحكومة العربية التي دامت اقل من سنتين كان فيصل خلال القسم الأعظم منها غائباً في اوروبا لتمثيل والده في مؤتمر الصلح في باريس، ومفاوضة البريطانيين بشان مستقبل البلاد العربية، ومطالبة الحلفاء بالوفاء بوعودهم التي قطعوها للعرب في ساعة الضيق، ثم نكثوها بعد انتصارهم في الحرب.

ووجد الرصافي نفسه في الآستانة كالطائر الغريب، فلا هو تركي لكي يبقى فيها ويندمج بمجتمعها وسياستها وتطورات الاحوال فيها بعد الحرب، ولا هو ممن ايّد الثورة العربية لينضم الى رفاقه فيها ويجني معهم ثمارها، طيبة كانت ام مرة. ومع ذلك، فقد قرر السفر الى دمشق، حيث قامت حكومة عربية مستقلة. وليس من المستغرب ان يقابل الرصافي في دمشق بالاعراض والاهمال بعد وقوفه ضد الثورة، وهجائه زعيمها. وكان قبل ذلك قد شجب المؤتمر العربي في باريس وهاجمه، وسكت عن مظالم جمال باشا في سورية واعدام شهداء العرب في حين ان معظم الشعراء العرب حيوا اولئك الشهداء ورثوهم ابلغ الرثاء، ووقف مع الاتحاديين حتى اللحظة الأخيرة.

في القدس

وقد حار معروف الرصافي في أمره، ووجد ابواب الرزق مسدودة في وجهه، بعد ان كان في العاصمة العثمانية موضع الرعاية والتقدير، عضواً لامعاً في البرلمان، يتقاضى راتباً محترماً، الى جانب ما يدخله من التعليم في المدرسة الملكية ومدرسة الوعاظ وغيرهما. ولم يكن بوسعه ان يعود الى الاستانة بعد التحاقه بفيصل في سورية، ولا ان يعود الى العراق، تحت الاحتلال البريطاني، وهو الذي لم يكتم عداءه للانكليز، وكان موقفه منهم معروفاً، حتى قيض الله له وظيفة للتدريس في دار المعلمين بالقدس، وتوسط له فيها محمد كرد علي بك الذي كان يقدر علمه ويعجب بشعره، فغادر دمشق مودعاً اياها بقصيدة عنوانها «بعد براح الشام»، صوّر فيها همومه وهواجسه وقد ختمها قائلا:

اخزى البلاد مفاسداً بلد به مقت الاديب واكرم العرّيض

ووجد الرصافي في القدس شيئاً من الامن والراحة، وكان موضع التقدير والتكريم في مجتمعه واحتفى به رجالاتها وادباؤها، وكثيراً ما كان يدعى الى المآدب والاحتفالات ويطلب اليه انشاد الشعر فيها، وهنالك لقي بعض العوض عن الإعراض الذي لقيه في دمشق، وفي ذلك قال:

اصبحت في القدس في امن وفي دعة من بعد أن كدت في الشام أعتقد

ولو نظرنا الى كلمة «اعتقد» في قواميس اللغة لوجدنا أن معناها: «دخل غرفته، واغلق الباب على نفسه، ولازمها حتى الموت جوعاً وكمداً». أن التقاط الرصافي هذه الكلمة، ووضعها في المكان المناسب للتعبير بكلمة واحدة عن هذه المعاني جميعاً، لمن الأدلة الرائعة على مدى امتلاكه ناصية اللغة العربية. وفي شعر الرصافي امثلة كثيرة لذلك.

واقام الرصافي في القدس زهاء سنتين سقطت خلالها الحكومة العربية في سورية، واحتلت القوات الفرنسية دمشق بقيادة الجنرال غورو، وغادرها الملك فيصل الى اوروبا حيث كانت اتصالاته ستنتهي بترشيحه لعرش العراق.

الرصافي والملك فيصل

وقد توالت الأحداث بعد ذلك، وكان هنالك عدد من المرشحين العراقيين للعرش، في مقدمتهم السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد، ورئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة، والسيد طالب (باشا) النقيب وزير الداخلية فيها، والشيخ خزعل، امير المحمّرة، وهادي باشا العمري، من الاسرة العمرية المعروفة في الموصل ومن الشخصيات العسكرية العراقية البارزة في العهد العثماني.

ولما شاع نبأ اعتزام بريطانيا ترشيح الأمير فيصل ازداد نشاط السيد عبد الرحمن الكيلاني والسيد طالب النقيب في الدعوة لنفسيهما، ومعارضة ترشيح فيصل، رافعين شعار «العراق للعراقيين». واتفق النقيبان على اصدار جريدة تدعو لهما وتعارض اختيار فيصل، وقررا استدعاء معروف الرصافي ليتولى رئاسة تحريرها لما يتمتع به من شهرة واسعة، وما له من تاثير كبير على افكار الناس. وتلقى الرصافي وهو في القدس برقية تدعوه للحضور الى بغداد فلبى الدعوة وحضر تراوده الآمال العريضة في تحقيق بعض امانيه في ظل الدولة الجديدة. وكان فيصل في ذلك الوقت في طريقه الى العراق.

وتمكن السير برسي كوكس المفوض المدني في العراق ـ الذي كان بمثابة رئيس

الدولة ـ بدهائه ونفوذه من إقناع السيد عبد الرحمن النقيب بالعدول عن ترشيح نفسه، كما انه تخلص من السيد طالب بإبعاده الى الهند وسيلان، وتوّج فيصل ملكاً على العراق، ولم يتحقق مشروع الجريدة طبعاً، ووجد الرصافي نفسه مرة اخرى في الجانب الخاسر.

وحاول الرصافي استرضاء الملك فيصل، وسعى الى الترحيب به في المأدبة التي اقامها له السيد عبد الرحمن النقيب بعيد وصوله الى بغداد في ٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٢١، فانشد قائلا:

مدّ النقيب الى الأمير يد المعاضد والنصير
فليخز كل مشاغب في القوم يلهج بالشرور
وليحيَ مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

ولكن الملك فيصل بقي ناقماً على الرصافي لا ينسى مواقفه السابقة من الثورة العربية، ولا هجاءه لوالده. وقد حاول أصدقاء الرصافي إزالة سخط الملك فيصل عليه دون جدوى، واقنعوا الرصافي بكتابة رسالة اليه يعرض فيها ولاءه، فبعث اليه في ٧ تموز (يوليو) ١٩٢٢ رسالة يوضح له فيها حقيقة موقفه أو يحاول تبريره، وقد جاء فيها:

«... وقلت تلك القصيدة التي أوجبت غضبكم عليّ الى يومنا هذا مع انها لم تكن صادرة عن حزازات في النفس وانما كانت عن اجتهاد خاص واعتقاد. فلما جئت الى دمشق ايام حكومتكم علمت ان غضبكم من اجل هذه القصيدة لم يفتر كما اخبرني بعض اصحابي نقلاً عن نوري السعيد، مع ان كثيراً من العلماء والأدباء في سورية كانوا قد شهروا اقلامهم اثناء الحرب بالطعن في جلالة والدكم وقد شملتموهم بانظار الصفح والعفو جميعاً، ولا ادري ما الذي استوجب استثنائي منهم واستمرار غضبكم عليّ من دونهم؟؟».

ولما تجاهل فيصل هذه الرسالة إشتدت نقمة الرصافي عليه وزاد من اندفاعه في معارضة فيصل وتقريعه وهجائه في كل مناسبة. وقد اتفق في ذلك العام ان تسربت مياه دجلة الى البناء الذي كان فيصل قد اتخذه بلاطاً له، فتداعت بعض ابنيته وجدرانه، فنظم الرصافي في هذه المناسبة اقذع هجاء له:

ابلاط ليت شعري أم ملاط أم مليك «بالمخانيث» محاط
غضب الله على ساكنه فتداعى ساقطاً ذاك البلاط

وعلى الرغم من أن هذه القصيدة لم تنشر بطبيعة الحال، فقد تناقلتها الالسنة في بغداد وتهامس بها الناس، واصبحت معروفة بدرجة غريبة، حتى قيل أن مدير الشرطة العام فصل من وظيفته إذ رُوي عنه انه كان يرددها في

بعض المجالس.[١٥]

وقد اضطرت الحاجة الرصافي الى العمل في الوظائف الحكومية، والى قبول وظيفة شكلية بسيطة كانت دون مكانته وشهرته، وهي وظيفة نائب رئيس لجنة الترجمة والتعريب في وزارة المعارف. وقد زاد في سخط الرصافي انه عين نائباً لرئيس اللجنة في الوقت الذي كان فيه منصب رئيس اللجنة شاغراً، ولكنه قضى في هذا العمل نحو سنة ونصف السنة.

الهجـرة الى بيروت

وفي أواخر تلك السنة سافر الرصافي الى استانبول ومنها عاد الى بيروت، وقرر الاقـامـة فيهـا، ونشر قصيـدة طويلة تحمل سخطه وثورته، وعنوانها «بعد النزوح»، قال فيها:

هي المواطن أدنيها فتقصيني ... مثل الحوادث ابلوها وتبليني
قد طال شكواي من دهر اكابده ... اما اصادفُ حرّا فيه يشكيني؟

ومرة اخرى عرّض الرصافي بالملك فيصل قائلا:

انا ابن دجلة معروفاً بها ادبي ... وإن يكُ الماء منها ليس يرويني
قد كنت بلبلَها الغرّيد أنشدُها ... اشجى الأناشيد في اشجى التلاحين

* * *

فبينما كنت فيها صادحاً طرباً ... استنشق الطيبَ من نفحِ الرياحين
اذ حلّ فيها غُراب كان يوحشنَي ... وكان تَنعابُهُ بالبينِ يؤذيني

* * *

ويل لبغداد مما سوف تذكره ... عنّي وعنها الليالي في الدواوين
اني المروءة ان يعتزّ جاهلها ... وان اكون بها في قبضة الهون
وان يعيش بها الطرطور ذا شمم ... وان أسامَ بعيشي جدع عرنيني[١٦]
عاهدت نفسي والايام شاهدة ... الّا اقرّ على جَوْر السلاطين
ولا اصادق كذّاباً ولو ملكا ... ولا اخالط اخوان الشياطين

* * *

ما كنت احسب بغداد تُحلّئُني ... عن ماء دجلتها يوماً وتظميني[١٧]

---

(١٥) خيري العمري «سر خصومة الرصافي للملك فيصل» مجلة (الف باء)، العدد ٥٤٦، السنة ١١، بغداد في ١٤ آذار ١٩٧٩، ص ٣٠ ـ ٣١.

(١٦) جدع عرنيني: رغم انفي

(١٧) تُحلّئني: تمنعني وتطردني

حتى تقلّد فيها الامر زِعنفةٌ ... من الاناس باخلاق السراحين[١٨]

ثم قال:

علام امكث في بغداد مصطبراً ... على الضراعة في بحبوحة الهون
لاجعلنّ الى بيروت منتسبي ... لعلّ بيروتَ بعدَ اليومِ تُؤويني

* * *

واشار الرصافي في هذه القصيدة ايضاً الى ما لقيه في دمشق في عهد الملك فيصل من عسر وهوان، وما وجده في القدس من تقدير وتكريم، وذكر ثلاثة من اعلام الادب في فلسطين وهم محمد اسعاف النشاشيبي، وخليل السكاكيني، وعادل جبر، اكرموا وفادته ورعوه، ونوّه عنهم بابيات جميلة الاشارة بليغة الاستعارة، اذ قال:

قد كان في الشام للايام مذ زمنٍ ... ذئبٌ محته الليالي في فلسطين
إذ كان فيها النشاشيبيّ يُسعفني ... وكنت فيها خليلاً للسكاكيني
وكان فيها ابن جبر لا يقصّر في ... جبر انكسار غريب الدار محزون
إن كان لي في القدس اصحاب غطارفة ... فكم ببيروت منَ غرّ ميامين

* * *

ومع ذلك، فقد عجز الرصافي عن البقاء في بيروت بلا عمل ولا مورد، وسمع هناك باعتزام السلطات في العراق اجراء انتخابات للمجلس التاسيسي الذي كانت مهمته اقرار القانون الاساسي (الدستور) وقانون انتخاب مجلس النواب، والمعاهدة العراقية ـ البريطانية، وفكر في ترشيح نفسه لعضوية ذلك المجلس وكان يجد نفسه مؤهلاً لذلك بما لديه من خبرة في (مجلس المبعوثان) العثماني. وكانت مغادرة الرصافي للعراق، والقصيدة التي قالها على اثرها، قد احدثا اثراً سيئاً في العراق واحرجا حكومته وهي في بداية عهدها. فلما عاد رحبت به الصحافة العراقية والاوساط الادبية في بغداد، واقيمت له حفلة تكريمية القى فيها قصيدة اخرى من قصائده الجيدة، وكان عنوانها «الى ابناء الوطن» ومطلعها:

سِرْ في حياتك سيرَ نابهة ... ولُمِ الزمانَ ولا تُحابه
وإذا حللت بموطن ... فاجعل محلك في هضابه

وقال فيها عن اغترابه وعودته:

آب المسافر للديار ... على اضطرار في إيابه
لو كان يجنح للأيا ... ب لما تعجل في ذهابه

---

(١٨) السراحين: جمع سرحان وهو الذئب

قـد كـان يمـرح في التغـرّ ... ب بالحفـاوة مـن صحابـه
لا تعجبنّ لخـامـل ... لبس النباهـةَ فـي اغترابه
فالسيف احسن ما يكـو ... ن اذا تجـرّد من قرابـه

وفي هذه القصيدة دعا الناس الى المشاركة في انتخابات المجلس التاسيسي، وكان هنالك تيار قوي لمقاطعتها بسبب تدخل الحكومة فيها وسيطرة الانكليز على البلاد، وقد صدرت فتاوى دينية عديدة بمقاطعتها.[١٩]

لا بـدّ للـوطن العزيـز ... مـن المسكّن لاضطرابه
من مجلس للشعب ينظر ... بالتامـل فـي مـآبـه
وينـوب عـن ابنائـه ... ان صادقـوه علـى منابه
حتى نـرى امـر البـلاد ... بـه يعـود الـى نصابه
ابهت حكـومتنـا لـه ... والشعب ليس له بآبـه

واستقال الرصافي من وظيفته في وزارة المعارف وكان من اوائل من رشحوا انفسهم للانتخابات، واذاع بيانـاً انتخابياً احدث دوياً كبيراً في الأوساط العراقية على الرغم من انه كان فيه تراجع كبير في مواقفه من الانكليز ومن الوضع القائم في العراق. ولعله كان موقفاً «تكتيكياً» اراد به ان يتفادى مقاومة السلطات لانتخابه. وفي الوقت نفسه ولج ميدان الصحافة مرة اخرى، فاصدر جريدة اسمها (الأمل)[٢٠] واتخذ فيما نشره من مقالات ـ سواء اكانت بقلمه ام باقلام اخرى ـ نفس الموقف في مهادنة الانكليز ومصانعة الحكومة.

وفي سنة ١٩٢٣ اختير الرصافي عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

وقد ظهرت نتائج الانتخابات للمجلس التاسيسي في آذار سنة ١٩٢٤ ولكن الرصافي لم ينجح فيها.

زيارة امين الريحاني الى العراق

في ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ زار العراق الأديب الشهير امين الريحاني، بدعوة من الملك فيصل، فاحدث قدومه في البلاد حركة ادبية نشيطة، واقيمت لتكريمه حفلات عديدة. وفي الحفلة التي اقامها (المعهد العلمي) ببغداد القى الرصافي قصيـدة من أروع قصائده، بل من أروع الشعر السياسي العربي في العصر

---

(١٩) انـظر دراسـة عن المجلس التـأسيسي في كتـاب الدكتور محمد مظفر الأدهمي، المجلس التاسيسي العراقي ـ دراسة تاريخية سياسية، بغداد، ١٩٧٦.

(٢٠) صدر العدد الأول من جريدة (الأمل) للرصافي في أول تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣، وصدر منها ثمانية وستون عدداً توقفت بعدها عن الصدور.

الحديث. وفي هذه القصيدة سجّل المه لأوضاع العراق، وكانه كان يتحدث عن بعض البلاد العربية في يومنا هذا. وهي في ٤٧ بيتاً افتتحها قائلاً:

ان العـراق بعرضـه وبطولـه ... وبـرافديـه وبـاسقات نخيلـه
يهتـزّ مبتهجـاً بمقـدم ضيفـه ... ويبش مبتسمـاً بـوجـه نـزيله

ثم قال:

اامين جئت الى العراق لكي ترى ... ما فيه من غـرر العلى وحجولـه
عفواً فـذاك النجم اصبـح آفـلاً ... والقـوم محتربون بعد افولـه

* * *

فلقد عفا المجـد القديـم بارضـه ... وعليه جـرّ الدهـر ذيل خمولـه
وإذا نظرت الى قلـوب رجالـه ... فانظـر حديد الطـرف غير كليلـه
تجـد الـرجال قلـوبها شتى الهوى ... مـدّ الشقاق بهـا حبالـة غـولـه
متناكـرين لدى الخطـوب تناكـراً ... يعيا لسان الشعـر عـن تمثيلـه
فالجـار ليس بـآمن من جـاره ... والخـل ليس بـواثق بخليلـه
والـدين فيـه يقـول ذو قـرآنـه ... قـولا يحـاذر منـه ذو انجيلـه

* * *

اامين لا تغضب علـيّ فانـني ... لا ادّعي شيئـاً بغيـر دليلـه
مـن اين يـرجى للعـراق تقـدم ... وسبيل ممتلـكيـه غير سبيلـه
لا خير فـي وطـن يكون السيف عنـ ... ـد جبانـه، والمـال عنـد بخيلـه
والراي عند طريـده، والعلـم عنـ ... ـد غـريبه، والحكـم عنـد دخيله
وقـد استبدّ قليله بكثيره ... ظلماً وذلّ كثيره لقليله
إني إذا جدّ المقال بموقف ... فضّلت مجمله على تفصيله
وإذا المخـاطب كـان مثلك واعياً ... اغنى اختصـارُ القول عن تطويله

وقد احدثت هذه القصيدة ضجة كبيرة في بغداد، ويقال انها لمّا بلغت اسماع الملك فيصل انزعج لها كثيراً، وخاصة لعبارة (الحكم عند دخيله) التي وجدها تعريضاً به واشارة الى كونه غير عراقي، ولكن اصدقاء الرصافي حاولوا اقناعه بانه يقصد (الانكليز).

العودة الى الوظيفة

بعـد فشـل الرصافي في الحصول على عضوية المجلس التأسيسي واغلاق جريدته، اعيد الى الوظيفة الحكومية في ١١ تموز (يوليو)، فعين مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف، وفي ١٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ عيّن استاذاً للغة

العربية وآدابها في دار المعلمين العالية ببغداد، واستقال من الوظيفة في السنة التالية اذ رشّح لعضوية مجلس النواب.

وكانت سنوات العشرينات واوائل الثلاثينات من اخصب فترات حياة الرصافي الأدبية واغزرها بالانتاج الشعري. وقد عاد الرصافي الى المعارضة مرة بعد مرة، ووقف مواقفه السابقة في مهاجمة الانتداب، والحكومة القائمة في ظلها، واندفع في معارضته بجراة عجيبة، وباندفاع شديد.

ومن جملة ما نظمه في تلك الفترة قصيدة عنوانها «الحرية في سياسة المستعمرين» ذهبت مذهب الامثال في العراق، وقد نشرت في جريدة (المفيد) الصادرة في بغداد بتاريخ ١٧ آب (اغسطس) سنة ١٩٣٢، وهي التي قال فيها:

يا قوم لا تتكلموا ... ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلا النوّم

وفي تلك الفترة ايضاً نظم قصيدة شهيرة اخرى عنوانها «حكومة الانتداب» تجاوز فيها كل حدود الجراة، بل ودعا الناس الى اعتناق (البلشفية) اذا كانت فيها نجاتهم من مطامع الانكليز، وقد نظم هذه القصيدة في سنة ١٩٣٠ حينما كان نوري السعيد يحاول تصديق المعاهدة العراقية ـ البريطانية:

انا بالحكومة والسياسة اعرفُ ... أألام في تفنيدها واعنفُ
ساقول فيها ما اقول ولم اخف ... من ان يقولوا شاعر متطرف
هذي حكومتنا وكل شموخها ... كذب، وكل صنيعها متكلف

ثم عرّض بالدولة، والدستور، والعلم، والمجلس، والوزارة، بابيات اكتسبت شهرة واسعة، ولا يزال الناس في العراق يحفظونها، ويرددونها، والمؤرخون يستشهدون بها في وصف الوضع السياسي في عهد الانتداب، وقال فيها:

علمٌ ودستورٌ ومجلس امةٍ ... كلٌ عن المعنى الصحيح محرّف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها ... اما معانيها فليست تعرف

ثم قال:

للانكليز مطامع ببلادكم ... لا تنتهي إلا بان تتبلشفوا

ماذا كان يريد؟

هاجم الرصافي الملك فيصل، وهاجم الدولة، وهاجم الانتداب البريطاني، ثم هادنهم، فماذا كان يريد؟

الآن وقد ابتعدت احداث ذلك العهد بدرجة اصبح من الممكن معها الحكم

عليها بمزيد من الموضوعية، ويبدو ان الرصافي كان يطمح الى منصب مهم في الدولة، وعلى الرغم من استحالة التكهن في الامور التاريخية باي قدر من الدقة، فمن المحتمل على الاقل ان الرصافي لم يكن يتخذ مواقفه العنيفة التي اتخذها من الحكومة ومن فيصل لو حققا له بعض ما اراد.

ويخيل لكاتب هذه السطور، انه كان يطمح الى الوزارة، والى وزارة المعارف على وجه التحديد. وهو يستند في هذا الراي على الحدس والتخمين، وعلى ما يمكن ان يُستشف بين سطور الرصافي وتلميحاته غير المباشرة، بل المباشرة ايضاً في بعض الاحيان.

وكان الرصافي يرى انه احق بهذا المنصب من الذين كان الملك فيصل يعهد به اليهم. ومعظمهم من رجال الدين او التجار الذين لا علاقة لهم بشؤون التربية والتعليم في فترة كانت فترة تاسيس لنظام التعليم في البلاد. وقد كان اختيار فيصل لوزراء المعارف خاضعاً لاعتبارات سياسية محلية وليس الاختصاص الفني.[٢١]

واننا نجد الرصافي يكثر من الاشارة الى الوزارة، والوزراء، والمناصب، بما يدل دلالة قوية على ما كان يخامر نفسه من غضب لتجاهله وتفضيل سواه ممن يراهم دونه بمراحل. مخاطباً رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٧:

يا مبعديّ بظلم عن مناصبهم ... وقاطعين الى ما ابتغي طرقي

وخاطب الوزراء في قصيدة «حكومة الانتداب»:

هذي كراسي الوزارة تحتكم ... كادت لفرط حيائها تتقصّف

انتم عليها والاجانب فوقكم ... كل بسلطته عليكم مشرفُ

وقال في قصيدة اخرى عنوانها «الوزارة المذنبة»:

كم وزير هو كالوز ... ر على ظهر الوزارة

ووزير ملحق كالذ ... يل في عجز حماره

ياخذ الراتب إمّا ... بلغ الشهر سراره[٢٢]

بل انه نظم مقطوعة عنوانها «وزراء المعارف عندنا» جاء فيها:

---

(٢١) كان الملك فيصل يرى في وجود الاستاذ ساطع الحصري في منصبه الدائم مديراً عاماً للمعارف، وهو الخبير الكبير في شؤون التربية والتعليم والاختصاصي ذو الثقافة العصرية الشاملة، ضمانة لتأسيس نظام التعليم على أسس قويمة. وكان الملك فيصل يسنده على الدوام في اي خلاف ينشب بينه وبين الوزراء الذين تولوا هذه الوزارة بسبب احترامه وتقديره لعلمه ومعرفته الواسعة.

(٢٢) السرار: الظلام الذي لا يظهر فيه القمر ويكون في المحاق، كناية عن نهاية الشهر وحلول موعد دفع الرواتب.

ويحَ المعارفِ لا يستوزرونَ لها ... الا الذينَ لوزر الجهل قد وزروا
فاي حرمة علم هم قد انتهكوا ... بذا، واي زمام للعلى خفروا
هبهم قد احتقرونا في مواطننا ... سياسة، فعلام العلم يحتقر؟

وكان الرصافي يهاجم التدخل البريطاني في البلاد في كل مناسبة، ويشهّر بالحكومة والوزراء لخضوعهم لذلك التدخل، وقال في الوزارة:

ان الوزارة ـ لا ابا لك ـ عندنا ... ثوب يفصّل في معامل لندنا
لا يرتديه سوى امرىء اضحى له ... طبعا وداد الانكليز وديدنا

وقال في قصيدة اخرى:

سل الانكليزي الذي لم يزل له ... بدست وزير الداخلية مقعد
اانت وزير ام عميد وزارة ... نراك اليها كل يوم تردّد
فها انت ملقاة اليك امورنا ... تحل لنا ما شئت منها وتعقد

وربما كان اقذع ما قاله في الوزراء والمستشارين البريطانيين هذان البيتان اللذان جريا على السنة الناس في العراق. على الرغم من التشبيه القبيح الذي احتوياه، او بسببه:

الا بلّغوا عني الوزير مقالةً ... له بينها لو كان يخجل توبيخُ
اراك بحمام الوزارة نورةً ... واما جناب المستشار فزرنيخ[٢٣]

وعلى الرغم من ان الملك فيصل تجاهل رسالة الرصافي الأولى اليه، فانه بعد ذلك حاول استرضاءه وكسبه الى جانبه اكثر من مرة، فقد كان فيصل سياسياً حاذقاً مرناً ورجل دولة لا يدع الأحقاد القديمة تتحكم في مواقفه وعلاقاته مع الناس، وقد بادر الى مصالحة اشخاص ورؤساء دول (مثل عبد العزيز آل سعود، ورضا شاه بهلوي، ومصطفى كمال) حين وجد في مصالحتهم تحقيقا لمصلحة او تنفيذاً لسياسة.

ولكن طموح الرصافي المفرط، او بالأصح شعوره العميق بالغبن، وحالته النفسية البالغة الحساسية كانت تجعله يشعر بوخزة جديدة فينقلب على الملك والدولة كلما راى من هم دونه بكثير يتبوأون مناصب عالية، وينالون حظوة الملك، ولكن ذلك افقده ثقة الملك، وجعله يعرض عنه. وكان من أبيات الرصافي الشهيرة في هجاء الملك فيصل قوله:

---

(٢٣) الاشارة هنا الى مسحوق كان يستعمل في حمامات بغداد القديمة لازالة الشعر، وهذا مزيج من الزرنيخ الذي يزيل الشعر بشدة مفعوله، والنورة التي تمزج به لتخفيف حدته، والتشبيه هو أن المستشار يقوم بدور الزرنيخ، أي أنه يؤلف العنصر الفعال والوزير بمثابة النورة التي لا مفعول لها. وهنالك قصيدة أخرى بهذا المعنى للشيخ باقر الشبيبي قال فيها:

المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربدُ

لنا ملك تابى عصابة راسه لهما غير سيف التيمزيين عاصبا
وليس لنا من امره غير انه يعدد اياماً ويقبض راتبا

ويقال ان الملك فيصل، الذي كان في عهد الانتداب يعاني الأمرين بين ضغط المندوب السامي، ومطالب الوطنيين، صادف ان قابل الرصافي في احدى المناسبات، فقال له معاتباً، اما تزال تعتقد انني اعدد اياماً واقبض راتباً؟». فاجابه الرصافي: «ارجو ان لا تكون كذلك».

في مجلس النواب

وكان للرصافي بين رجال الدولة اصدقاؤه المعجبون بعلمه وادبه، المقدرون لفضله، ومنهم عبد المحسن السعدون الذي حاول التقريب بينه وبين الملك فيصل، وقد نجح السعدون عند تاليف وزارته الثانية في مطلع عام ١٩٢٨ في إقناع الملك فيصل بالموافقة على ترشيح الرصافي لعضوية مجلس النواب، وفي ايار (مايو) ١٩٢٨ انتخب الرصافي نائباً عن لواء العمارة، ثم نائباً عن بغداد في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٤، ثم نائباً عن لواء الديلم في آب (اغسطس) ١٩٣٥ وشباط (فبراير) ١٩٣٧، وكانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٧ الى شباط سنة ١٩٣٩.

وكانت تلك الفترة من اسعد فترات حياته، فقد شعر خلالها انه بدا ينال شيئاً مما يستحقه، وان احواله قد تتحسن وابناء وطنه مدركون ما لحقه من ضيم وجحود، ولعل النيابة تكون خطوة للوصول الى منصب الوزارة.

وفي سنة ١٩٣٩ جاء الى بغداد المستر كراين، وهو احد كبار الأثرياء الامريكيين، وكان رجلاً متحرراً يجاهر بحب العرب والدفاع عن حقوقهم والمطالبة باستقلالهم. واحتفلت به الاوساط الوطنية والأحزاب السياسية واقيمت لتكريمه حفلات ومآدب عديدة اتخذت مناسبات لالقاء خطب سياسية لعرض مطالب الشعب في الاستقلال والتحرر من الانتداب البريطاني.

وكان الرصافي عضواً في المجلس النيابي، ومع ذلك فلمّا اقام الحزب الوطني حفلته الكبرى لتكريم المستر كراين، القى الرصافي في الحفلة قصيدة رائعة رسم فيها صورة لحالة الشرق بصورة عامة، والعراق بصورة خاصة وموقف الانكليز وحقيقة الحكم في العراق وكان مطلعها:

يا محب الشرق اهلا بك يا مستر كراين

وقد افتتحها بالاشارة الى اوضاع الشرق بصورة عامة قائلاً:

جئت يا مستر كراين فانظر للشرق وعاين
فهو للغرب اسير اسر مديون لدائن

ان هذا الشرق والغـر ... ب لمغبـون وغـابـن
فترى الشرق تجاه الغر ... ب يسعى سعي ماهن
وترى الغرب عليه ... واقفاً موقف خائـن
منكراً منه المزايا ... موجداً فيه المطاعـن
غاصباً منه الموانـي ... شاحناً فيه السفائن
حافراً فيه المعادن ... نابشاً فيه الدفائن
فهو يمتص دماء الشر ... ق من كل الأماكن
باذراً من كيده في ... أهله بذر الضغائن
حاكماً فيه على أهلـ ... ـه حكم المتهاون
جاعلاً في رجله قيـ ... ـد الونى والقيد شائن
فترى الشرق لهذا ... ماشياً مشية واهن
افهذي يا محبَّ الشـ ... ـرق افعالُ المهادن
اين ما قد قاله ولسـ ... ـن يا مستر كراين؟[٢٤]

ثم انتقل الى الحالة في العراق قائلاً:

واذا تسأل عما ... هو في بغداد كائن
فهو حكم مشرقيّ الضـ ... ـرع غربي الملابن[٢٥]
وطني الاسم لكن ... انكليزي الشناشن[٢٦]
عربيّ، أعجميّ ... معرب اللهجة راطن
فيه للايعاز من لدْ ... ـن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ... ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء ... نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا نمـ ... ـلك تحريكاً لساكن
افهذا جائز في الـ ... ـغرب يا مستر كراين؟

---

(٢٤) الاشارة الى الرئيس الامريكي وودرو ويلسن وبنوده الأربعة عشر التي أعلنها في سنة ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وطالب بأن تكون اساساً لتحقيق سلام عالمي عادل ودائم. وقد، جاء فيها وجوب منح حق تقرير المصير للشعوب غير التركية في الامبراطورية العثمانية وتأسيس جمعية عامة للأمم لضمان الاستقلال السياسي لجميع الدول.

(٢٥) الملابن: جمع «ملبن» وهي العلبة التي يوضع فيها اللبن، والمقصود ان اللبن الذي يأتي من ضرع شرقي يوضع في علب غربية، اي أن الحكم في بغداد ينفذه رجال من الشرق ولكن انماطه انكليزية.

(٢٦) الشناشن: جمع «شنشنة» وهي الطبيعة والخليقة والسجية.

وقد ذاعت هذه القصيدة ذيوعاً عجيباً، وتناقلها الناس وحفظوا أبياتها واتخذوها انشودة سياسية يرددونها في كل مناسبة.

انتحار السعدون ومعاهدة ١٩٣٠

وفي أواخر سنة ١٩٢٩ انتحر رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون الذي كان سنداً قوياً للرصافي، وأحدث انتحاره رنة أسفٍ كبيرة في البلاد، خاصة حينما نشرت وصيته التي قال فيها: «الشعب يريد الخدمة والانكليز لا يوافقون»، واقيم له تمثال ما يزال قائماً في قلب العاصمة العراقية.

ولا شك أن الرصافي فقد بوفاة عبد المحسن السعدون سنداً قوياً، وقد رثاه بثلاث قصائد، قارن في احداها بين عبد المحسن السعدون وسعد زغلول قائلاً:

يا أهل مصر وانتم مثلنا عرب ... ما قلتم عندما اعلمتم الخبرا
ان كان قد أرخص الأموال سعدكم ... فان سعدوننا قد أرخص العمرا

ولما وقعت المعاهدة العراقية ـ البريطانية في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٣٠، في عهد وزارة نوري السعيد ونشرت نصوصها قال فيها الرصافي:

نشروا المعاهدة التي في طيّها ... قيدٌ يعضُّ بأرجل الآمال
قد ابلعونا حبة استغلالنا ... لكن مموهة بالاستقلال
والعهد بين الانكليز وبيننا ... كالعهد بين الشاة والرئبال
مَنْ ذا رأى ذئب الذئاب مصافحاً ... بتودٍ حملاً من الأحمال
لكنهم خافوا انفكاك قيودنا ... فاستوثقوا منهن بالأقفال
كتبوا لنا تلك العهود وانما ... وضعوا بها قفلاً على الأغلال
شُلّت اكف موقّعيها إنهم ... حلت عليهم لعنة الأجيال[٢٧]

---

(٢٧) على الرغم من قرب عهد الرصافي فقد اختلف الكتاب في أمر هذه القصيدة، فمنهم من قال انها قيلت بمناسبة عقد المعاهدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٢٢ (كالمرحوم مصطفى علي في كتابه «**ادب الرصافي**»، ص ١٢٨ وهلال ناجي في كتابه «**القومية والاشتراكية في شعر الرصافي**»، ص ٢١٢) بينما ذهب الدكتور بدوي أحمد طبانة في كتابه «**معروف الرصافي**» الى أن القصيدة تتعلق بمعاهدة سنة ١٩٣٠، وأيده في هذا الرأي قاسم الخطاط في كتاب «**معروف الرصافي شاعر العرب الكبير: حياته وشعره**» ص ١٥١، وقد استند الاستاذ قاسم الخطاط في هذا الرأي الى موقف الرصافي في تأييد معاهدة سنة ١٩٢٢، ذلك الموقف الذي أعلن عنه على صفحات جريدته (الأمل)، فضلا عن أن البيان الذي اذاعه الرصافي عن معاهدة سنة ١٩٣٠ تضمن المعاني التي وردت في القصيدة، كما أن القصيدة جاءت خالية من الإشارة الى الإنتداب الذي تضمنته نصوص معاهدة ١٩٢٢. والى هذا الرأي أيضاً يميل كاتب هذه السطور.

ومع ذلك فقد أعيد انتخاب الرصافي لعضوية مجلس النواب في ١/١١/١٩٣٠ نائباً عن لواء العمارة، ولما عُرضت هذه المعاهدة على المجلس اقرّها باغلبية ٦٩ صوتا مقابل ثلاثة عشر، وكان الرصافي احد الذين صوتوا ضدها، والقى في المجلس بياناً قوياً شجبها فيه.

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٢ ارتأى الملك فيصل الاول اجراء تغيير وزاري و إقالة نوري السعيد وادخال بعض عناصر المعارضة في الحكم، وكانت تلك السنة بداية عهد جديد في تاريخ العراق الحديث، وهو عهد الاستقلال. ففي هذه السنة دخلت معاهدة التحالف العراقية ـ البريطانية حيز التنفيذ، وبذلك اصبح العراق ـ من الناحية الشكلية على الاقل ـ دولة مستقلة، وانتهى عهد الانتداب البريطاني الذي دام عشر سنوات تقريباً.

وقد قرر الملك فيصل إزاحة نوري السعيد عن الحكم لانه وجده يسرق الاضواء منه بعد نجاحه في عقد المعاهدة وادخال العراق في عصبة الأمم ويصبح شخصية دولية، إضافة الى بعض الخلافات الشخصية الصغيرة التي نشبت بينهما. ولكن الملك فيصل أراد في الوقت نفسه تكريم نوري السعيد ومكافأته على جهوده في إدخال العراق الى عصبة الأمم، وذلك بمنحه وسام الرافدين من الدرجة الأولى. وفي الاحتفال الذي اقيم في (البلاط) الملكي يوم ٢٦ آذار (مارس) ١٩٣٢ القى الرصافي قصيدة هنأ فيها نوري السعيد بهذا الوسام وافتتحها قائلا:

تهْ يا وسام الرافدين بصدر مَنْ ... هو للعُلى في الرافدين وسام
نوري السعيد ابو صباح من به ... سعد العراق، فثغره بسام
قد انعم الملك المطاع به لكي ... يزدان فيه وزيره الضرغام
يا حبذا ذاك الوزير وحبذا الملـ ... ـك المطاع وحبذا الانعام

ولكن الرصافي هجا نوري السعيد بقصائد عديدة بعد ذلك، فقال فيه مرة:

ان نوري السعيد قد كان قبلا ... آدمياً فصار بالمسخ قردا
قد ابى أن يعيش حراً مع التر ... ك فامسى للتيمسين عبدا
مثل ابليس ما اطاق سجودا ... واطاق الهوان لعناً وطردا[٢٨]

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣ توفي الملك فيصل الأول، فاشترك الرصافي في الحفلة التي اقيمت لتابينه وانشد قصيدة عدّد فيها فضائل الملك الذي طالما هجاه اقذع الهجاء واوسعه انتشاراً بين الناس في العراق. وكان مطلع قصيدته:

ابو غازي قضى فاقيم غازي ... فانطقنا التهاني والتعازي

---

(٢٨) هذه الأبيات لم تنشر في ديوان الرصافي.

وفيها قال:

بنى مجداً عراقياً جديدا ... فاسسه على المجد الحجازي
وسار من السياسة في طريق ... بحسن الراي معلمة الطراز

* * *

لاهل الرافدين عليك حزن ... له بقلوبهم فضل ارتكاز
فانت هديتهم سبل المعالي ... كما جنّبتهم طرق المخازي
لئن لبسوا الحداد عليك حزنا ... فقد البستهم ثوب اعتزاز
وما هم بالبكاء جزوك شيئاً ... ولكن الاله هو المجازي

حياته الشخصية

كان الرصافي قد طلّق زوجته التركية منذ مغادرته تركيا ولم يتزوج بعدها، وعاش في بغداد وحده معيشة الأعزب، وكان له خادم يدعى عبد صالح يرعاه ويخدمه. وقد تناقل الناس في بغداد انباء عن مجونه، والبيت الذي يسكنه في حي سيء السمعة.

قال معروف الرصافي شعراً كثيراً في المراة وجمالها وفي الحب الحسي والروحي الذي يظهر فيه شغفه بالجمال. ويروي امين الريحاني ان الرصافي حدثه ذات مرة فقال: «المراة بهجة الوجود، وريحانة الحياة، وما الحجاب وما السفور ساعة تدنو منك. فان جسمها لينطق حباً، ويشعّ حباً، ويتضوع حباً، سافرة كانت او محجبة...»[٢٩].

وقال الرصافي مخاطباً الريحاني في قصيدة «خواطر شاعر»:

وما الشعر الّا ما رنح الفتى ... كما رنحت أعطافها شارب الخمر
وان ابتسام الغيد عن كل اشنب ... ليطرب نفسي فوق ما اطرب الشعر

وللرصافي غزل حسّي يصف فيه مفاتن المراة في كل عضو من أعضائها في قصيدة عنوانها «بداعة لا خلاعة» قال فيها:

هي غمازة اللحاظ لعوب ... ذات دلّ ظريفة لحانه
بضة، نعمة، لميس، رداح ... غادة، احورية بهنانه
ناهد النودلين محطوطة المتنين ... خود، رجراجة، وركانه
خدلة ساقها، مهفهفة الخصر ... كعاب، براقة، سيقانه

(٢٩) امين الريحاني، قلب العراق، الأعمال الكاملة، المجلد الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٤.

ومع هذا الشعر الذي تغزل فيه الرصافي بالمرأة وتحدث عن جمالها الروحي والجسمي، فقد تحدث الناس ايضاً عن علاقات وميول شاذة له. والواقع ان الرصافي نفسه لم يكتم مثل هذه المشاعر، بل جاهر بها في شعره ايضاً، على مذهب ابي نواس.

فقد تغزل الرصافي بحسن شاب وسيم وكان مشهوراً في بغداد يدعى نعيم قائلا:

اسبغ الله نعيم الـ ـحسن في وجه نعيم
قمر اغنى في الاشـ ـراق عن ليل بهيم
علّم الناس صحيح الـ ـحبّ بالطرف السقيم
يرجع السحر بعينيـ ـه الى عهد الكليم

ولما قُتل هذا الشاب، رثاه الرصافي بقصيدة مؤثرة، ولعله كان من المعجبين به، والله أعلم.(٣٠)

وللرصافي ايضاً مقطوعة يصف فيها لعبة «البلياردو» تعدّ من ابدع شعره الوصفيّ، ولكنها في الوقت نفسه من مدرسة ابي نواس في الغزل المذكر:

وفي الألعاب لم تر قط عيني كمثل اللعب بالأكر الثلاث

---

(٣٠) كان ذلك في عام ١٩٠٧ في بغداد حين افتتح فيها أول ملهى في «مقهى سبع»، ونظراً لعدم وجود راقصات في بغداد في ذلك الوقت استحضر صاحبه غلماناً يرتدون ملابس النساء ليرقصوا فيه، وحدث أن رجلا يهودياً مطرباً من حلب اسمه (سليم) خدع غلاما مسيحياً من أهلها اسمه (نعيم) وأتى به الى بغداد ليرقص في «ملهى سبع»، فافتتن بجماله بعض رواد الملهى وكان بينهم يهودي يدعى (ابراهيم) وأراد به المنكر فأبت نفس الغلام ذلك، فجاء ذات يوم الى الملهى وهو سكران وأطلق عليه الرصاص، فنظم الرصافي في الحادثة قصيدة رثى بها نعيماً عنوانها (اليتيم المخدوع)، على أن القصيدة تعد من الشعر الإجتماعي، وليس فيها أي غزل أو وصف يخدش الحياء، ومنها قوله:

قضى والليل معتكـر بهيـمُ ولا أهـل لديه ولا حميـمُ

وقوله:

ولو درت النجـوم لـه مصاباً بكته على ترفعها النجـومُ
عسى الشهباء تثأره فتبدي الى الزوراء ما يبدي الخصيمُ
فلم يقتله (ابراهيم) فيما أرى بل أن قاتله (سليمُ)
اليس سليم الملعون اغوى نعيما فهو شيطان رجيمُ
سأبكيه ولم أعبأ بلاحٍ وأندبه ولو سخط العمومُ

(انظر في تفاصيل هذه الحادثة: عبد الكريم العلاف، **بغداد القديمة**، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠، ص ١٢١ ـ ١٢٢، وكذلك الدكتور علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، الجزء الثالث، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٥٣).

تجول بمستطيل الشكل عال ... لطيف صنعه حسن الأثاث
فبيضاوان تندفعان جرياً ... الى حمراء بادية اللّهاث
ينال الضرب احداها فتجري ... لضرب الآخرين بلا لباث[٣١]
فتنبعث الثلاث مدحرجات ... وقد حصل اصطدام بانبعاث
يدحرجهن اغلمة ظراف ... نسيت بهم مغازلة الإناث
بايديهم عصي مشرعات ... مهياة لضرب واحتثاث
فكان اذا انحنى للضرب منهم ... غلام هاج شوقي وهو جاث

وقد وصف الأستاذ أحمد حسن الزيات الذي كان منتدبا للتدريس في مدارس العراق زيارة له الى الرصافي في بيته في مقالة له نشرها في (الرسالة) على اثر وفاته، ولعل في هذا الوصف خلاصة لكل ما كان يدور على السنة الناس عن حياة الرصافي في اوائل الثلاثينات:

«قلت لصاحبي ذات ليلة من ليالي بغداد: أريد أن أزور الرصافي فقد زارني مراراً ولم ازره. فقال: اتشجع على أن تدخل حي البغايا. فقلت له: وما صلة هذا بذاك، فقال انه يسكن بينهن، وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن. فقلت له: هلمّ: فما يسع زواره من العذر يسعنا.

«ودخلنا البيت فاذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا اثاث ولا نظام ولا حرمة. وكلمة الشاعر هنا بدل الأديب تدلك على أن ليس في البيت مكتب ولا مكتبة، فقد كان لا يقرأ، وإنما يتكىء على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصّل في شبابه من أدبه وعلمه. وكان في الردهة قوم ياكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون، وكان الرصافي يتصدر هؤلاء، وفي يمناه كاس، وفي يسراه ورق[٣٢]، فلما رآني فضّ اللعب واقبل بانسه عليّ. ثم اخذ يشرب ويتحدث عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ. ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال.

«ولكن نداماه يروون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ الملك فيغضب، أو صاحب الحكم فيعجب، أو صاحب الدين فيصخب، أو صاحب الخلق فيثور.

«وكل اولئك يعادون الرصافي ولكنهم يهابونه لشخصيته، ويحترمونه لعبقريته، ويتربصون به سوء المصير.

«هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا

---

(٣١) اللباث (بفتح الكلام): اللبث أو المكث.

(٣٢) يريد ورق اللعب (الكوتشينة).

للناس، وأما شاعريته فالحكم عليها للناقد لا للمؤرخ. وقد يكون لنا اليها عودة».[٣٣]

الهجرة الى الفلّوجة

على اثر حل المجلس النيابي في عهد وزارة ناجي شوكت في ١٩٣٢/١١/٨ وجد الرصافي نفسه مرة اخرى بلا مورد للرزق. فقرر الهجرة من بغداد، والاقامة في مدينة (الفلوجة) بدعوة من «آل عريم» الذين قدموا له داراً اعدوها لسكناه بلا مقابل.

وعلى اثر الانتخابات التي اجرتها وزارة ناجي شوكت اعيد انتخاب الرصافي نائباً، وكان في هذه المرة نائباً عن بغداد، ومع ذلك فقد بقي مقيماً في الفلوجة يتردد على بغداد لحضور جلسات المجلس، ولم يعد الناس يسمعون شيئاً عن مجونه بعد ذلك، وكانت حياته في الفلّوجة تسير هادئة، ومعه خادمه عبد صالح الذي بقي في خدمته منذ صغره، الى حين وفاته

وحل مجلس النواب في السنة التالية، ولم ينتخب الرصافي المجلس الذي انتخب بعده، وكان مورده الوحيد راتبه التقاعدي البالغ ١٤,١٨٢ ديناراً. ولكنه عاد الى مجلس النواب في الانتخابات التي اجرتها وزارة ياسين الهاشمي في آب (اغسطس) سنة ١٩٣٥، واصبح نائباً عن لواء الدليم في هذه المرة.

وكان الرصافي قد بلغ الستين من عمره.

وفي السنة التالية قام بكر صدقي بانقلابه الذي أطاح فيه بوزارة ياسين الهاشمي، وحل المجلس النيابي. فلما قتل بكر صدقي وسقطت وزارة حكمت سليمان، اعقبتها وزارة جميل المدفعي التي حلت محل مجلس النواب مرة اخرى واجرت انتخابات جديدة انتخب فيها الرصافي ايضاً، وقد بقي هذا المجلس قائماً حتى شباط (فبراير) ١٩٣٩، ثم حلته وزارة نوري السعيد في ذلك الشهر، وكان ذلك آخر عهده بالنيابة، وقد قضى فيها حوالي ثمانية اعوام.

وقد إنصرف الرصافي في عزلته في الفلوجة الى الكتابة، على الرغم مما كان يعانيه من مشاكل نفسية ومالية، وكتب خلال اقامته فيها اربعة من مؤلفاته وهي (آراء ابي العلاء) ـ وقد كتبه عام ١٩٣٨ ـ و(الرسالة العراقية)، و(خواطر وافكار) وهو الكتاب الذي نقدمه الى القراء ويطبع للمرة الأولى، وكلا الكتابين الأخيرين كتب عام ١٩٤٠، ثم كتابه (الشخصية المحمدية أو اللغز المقدس) وهو لا يزال مخطوطاً.

---

(٣٣) أحمد حسن الزيات، **الرسالة**، العدد ٦١٢، الصادر في ٢٦ آذار (مارس) ١٩٤٥.

العودة الى بغداد

اقام الرصافي في مدينة الفلوجة سبع سنوات بين عام ١٩٣٣ وايار (مايو) سنة ١٩٤١، وفي هذا الشهر قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني التي رحب الرصافي بها، وكان ذلك امراً طبيعياً لأنها كانت ثورة وطنية ضد بريطانيا وضد الوصيّ على العرش الأمير عبد الاله ونوري السعيد، وقال فيها قصيدة عنوانها «اليوم الاغر - يوم الجيش وزعيمه» اذيعت من دار الاذاعة العراقية، ومنها قوله:

اليـوم قـرّي يا مـواطن أعينـا ... وتطرّبي بالحمـد منـك الألسنـا
فلقـد وفـاك الجيش حقـك سابغـاً ... إذ قـام فيـك علـى البـلاد مهيمنـا
وسعـى يحـوطك بالصـوارم طائعا ... لـزعيمه العـالي الـرشيد مذعنا[٣٤]

ثم هاجم الأمير عبد الاله الوصي على العرش والرجال الذين رافقوه في هروبه من العراق فقال:

كفروا بانعمها وهـم ابناؤهـا ... فلـذاك باءوا بالفضيحة في الـدنا
نشاوا بهـا مثل العقارب دابهـا ... نفث السموم فمن هنـاك ومن هنا
تـركوا مواطنهم تنـوء بعبئهـم ... وتقوّلـوا بالمين عنهـا والخنى
فليرجفـوا بعد النزوح فما هـم ... الا الـذباب قد استطار مطنطنـا
وليخسأوا ان البـلاد جميعهـا ... تقفـو الـزعيم وترتضيه مهيمنـا

وعـلى اثـر قيام هذه الثورة قرر الرصافي العودة الى بغداد وكانت القوات البـريـطانيـة القادمة من شرق الأردن تهدد مدينة الفلوجة، فعاد الى بغداد واستاجر داراً في (الأعظمية) سكنها مع خادمه وبقي فيها حتى وفاته.

وقد احتل الجيش البريطاني مدينة الفلوجة فعلا، واعتدت قوات «الليفي» المتـطوعـة في الجيش البـريطاني على سكانها، ووجد الرصافي فرصة جديدة للاعراب عن سخطه على الانكليز ومناسبة لمهاجمتهم فنظم قصيدته المعروفة (يوم الفلوجة) قائلا فيها:

ايهـا الانكليز لـن نتناسـى ... بغيكـم فـي مساكـن الفلـوجـة
ذاك بغـي لـن يشفـي اللّه إلا ... بالمـواضي جـريحـه وفجيجـه
هـو كـرب تابـى الحميـة انا ... بسوى السيف نبتغـي تفـريجـه
هـو خطب ابكـى العـراقين والشـا ... م وركـن البنيـة المحجوجـة

ويروي الأستاذ امين المميز «كشاهد على مدى عداء الرصافي لبريطانيا، انه قال ذات يوم بانفعـال شديـد، ونحن نستمع الى الراديو عن انباء المعارك في

(٣٤) المقصود بالعالي الرشيد: رشيد عالي الكيلاني.

الشرق الأقصى (خلال الحرب العالمية الثانية): لو انتصرت بريطانيا في هذه الحرب أيضاً، ساشكك بعدالة السماء في الأرض»[٣٥]. ومات الرصافي قبل نهاية الحرب بشهرين.

وكان الرصافي عند عودته الى بغداد قد بلغ السادسة والستين من عمره، وقضى أعوامه الأخيرة في داره بالأعظمية في عسر شديد، وخاصة بعد الغلاء الذي داهم الناس منذ نشوب الحرب، وكان أيضاً يعيل خادمه «عبد» وأسرة خادمه التي بلغ تعدادها تسعة اشخاص.

وقد اضطرت الحاجة شاعر العرب الكبير الى فتح دكان صغير لبيع السكاير، وكلف أحد أصدقائه أن يذهب الى أنور شاؤول، المحامي والشاعر اليهودي العراقي، وكان مديرا مفوضاً لشركة «طبارة وعبود» التي تنتج سكاير تسمى (غازي)، ليعطيه حصته من السكاير يبيعها ويستعين بربحها الزهيد على تكاليف معيشته. حتى انه نظم أبياتاً في الدعاية لسكاير غازي، لا يمكن أن تعد من عيون الشعر العربي، أو تنسب الى شاعر عظيم كالرصافي، لولا انها كانت تنشر في الصحف العراقية باسمه يومياً كدعاية لتلك السكاير، مطلعها:

دخّن سيكارة (غـازي) واشعـر بفخـر اعتـزاز

ومع ذلك فلم ينجح الرصافي في تجارته هذه فأغلق دكانه، وكان يردد، وإبتسامته الساخرة ترتسم على فمه:

«والله لو انني حاولت بيع الأكفان لما استأثرت يد الرحمن بنفس من الأنفس».[٣٦]

وقد خصص له الشيخ مظهر الشاوي، أحد شيوخ قبائل العبيد ومن أعضاء مجلس النواب السابقين راتباً شهرياً يستعين به الرصافي على العيش، كما نص في وصيته المصدقة رسمياً على وجوب دفع هذا المبلغ من تركته ما دام الرصافي حياً.[٣٧] ولا يزال العراقيون يذكرون له هذا العمل النبيل بالتقدير.

وقد عاش الرصافي سنوات حياته الأخيرة في فقر وحرمان شديدين، ومرت به أيام سود اضطر معها ان يبيع معظم ما تبقى لديه من أثاث وسجاد ليعيش بثمنها ويعيل خادمه عبد وأسرة هذا الخادم. وقد كتبت بعض الصحف العراقية، وغيرها من الصحف في خارج العراق قبل وفاة الرصافي باشهر قليلة، عن حالة الرصافي وناشدت الحكومة والعراقيين كافة، أن يساعدوا هذا الشاعر

---

(٣٥) أمين المميز، **بغداد كما عرفتها**، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٠٣.

(٣٦) عبد اللطيف حبيب، جريدة الندّاء، بغداد، العدد ١٦٩ الصادر في ١٨ آذار (مارس) ١٩٤٥.

(٣٧) قاسم الخطاط، المرجع سالف الذكر، ص ١٨٢.

الذي كان صوت العراق المدوي، ومفخرته، وقضى عمره في مناصرة الحق والعدل والحرية.

ولما تكررت هذه الكتابات، ضاق بها الرصافي ذرعاً، ووجدها جارحة لإبائه، فنشر في جريدة (البلاد) الصادرة في بغداد بياناً قال فيه:

«أرى بعض الصحف، هنا وفي الخارج، تكتب عني من حين الى آخر، فتذكر اني في عوز، أعاني منه الفقر والسقام، واني في ضنك من العيش. ثم هي بعد ذلك، تستعطف الحكومة علي، كأنّ من واجبات الحكومة، ان تسدّ عوز المعوزين، الى غير ذلك من الأقوال التي لا تجاري الواقع، ولا تنطبق على الحال.

أما أنا فاقول: لا أشك ان ما تقوله عني تلك الصحف، صادر عن نية حسنة، وعاطفة شريفة، تستحق الحمد والثناء، ولكن لا يمنعني ان اقول بانه غير صحيح.

نعم إني ذو صحة مختلة، أحيا حياة معتلة، ولكني ـ والحمد لله ـ غير محتاج، ولا يعوزني شيء من مقوّمات الحياة. وكل ما هناك، انني اعيش كفافاً، ولم يكن عيشي كذلك في هذه الأيام، بل قد تعودته منذ زمان طويل، متبعاً فيه قول ابي العتاهية:

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن لا يموت

فارجو من كتاب الصحف، ان يكفّوا، ومن قرائها ان لا يكترثوا لمثل هذه الأقوال. وأنا ـ وان شكرت لتلك الصحف اهتمامها بشأني ـ استنكر استعطافها الحكومة عليّ، اذ لا علاقة للحكومة بهذا الأمر، إن صحّ ما يقولون. فارجو ان تحول اهتمامها الى ما هو اهم وادعم من الأمور».

بغداد في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٥

معروف الرصافي[٣٨]

الرصافي والزهاوي

إقترن اسما الرصافي والزهاوي في العراق اقتران إسمي شوقي وحافظ في مصر. وكان لكل منهما أنصاره والمعجبون به، المتحزبون له، وقد قامت بين الفئتين مناقشات كثيرة ومعارك ادبية حامية في الصحف العراقية.

وكانت نشأة الشاعرين وبيئتهما وثقافتهما متشابهة الى حد كبير. وقد نشأ كلاهما في بغداد، ودرسا العلوم العربية على الطريقة القديمة، ثم اتصلا بالأدب

---

(٣٨) جريدة البلاد، بغداد، العدد ٢٤٣٦ سنة ١٩٤٥.

التركي، والمجتمع التركي واصبحا نائبين في مجلس المبعوثان العثماني، ومدرسين للآداب العربية في ارقى المعاهد التركية. ومع ذلك فقد كانت بين طبائع الرجلين ونفسيتيهما، وعاداتهما الشخصية فروق كبيرة ايضاً. وعلى الرغم من أن الرصافي عرف الحياة الزوجية لمدة قصيرة في استانبول، فان اغلب حياته كانت حياة الاعزب البوهيمي يشرب الخمرة، وينهب اللذات بلا حدود ولا اكتراث لمركزه الاجتماعي ومكانته العلمية. بينما كان الزهاوي زوجاً يحب زوجته ويحترمها الى آخر يوم من حياته، وكانت له زوجة فاضلة تعنى به عناية فائقة، وخاصة بعد مرضه وإصابته بالفالج، ولذلك كانت حياته من الناحية الإجتماعية لا غبار عليها، ولم يعرف عنه مجون او معاقرة لبنت الحان، وليس من المعروف، بطبيعة الحال، أكان الزهاوي في ذلك مكرهاً ام بطلاً.

ولكن الزهاوي كان مهادناً للسلطة، لا يتمتع بمثل شجاعة الرصافي السياسية ولا يجرؤ على معارضتها. وبينما كان الرصافي يحن الى العثمانيين وعهدهم، ويقول فيهم بعد خروجهم من العراق على اثر الاحتلال البريطاني:

انا باقٍ على الوفاء وان كانت بقلبي ممن أحب جراح

وبينما كان الرصافي يهاجم الانكليز بعد احتلالهم بلاده، وهم في أوج قوتهم ونفوذهم، ويهجو الملك أعنف الهجاء واقذعه، كان الزهاوي يغمز العثمانيين، ويساير الانكليز ويجاملهم، بل يتغنى بعدالتهم واخلاقهم فيقول:

أحب الانكليز واصطفيهم لمرضي الاخاء من الأنام
جلوا من الملك ظلمه كل ظلم بعدل ضاء كالبدر التمام

وقد رحب الزهاوي بعودة السير برسي كوكس مندوباً سامياً في العراق، واستقبله عند وصوله الى بغداد في سنة ١٩٢٠ في اعقاب الثورة العراقية، قائلا ابياته التي لم يغتفرها له العراقيون:

عد للعراق واصلح منه ما فسدا وابثث به العدل وامنح أهله الرغدا
الشعب فيه عليك اليوم معتمد فيما يكون كما قد كان معتمدا

وانضم الزهاوي الى الحزب (الحر المعتدل) الذي كان موالياً للانكليز، بينما هجا الرصافي ذلك الحزب حينما نفت السلطات البريطانية عدداً من الوطنيين المعارضين، وحلت الحزبين الوطنيين، قائلا:

قولوا لحزب تسمّى الحر معتدلا هل انت من بعد نفي القوم معتدل؟
وهل لما حلّ بالحزبين باكية عيناك ام انت مسرور به جذل؟
تالله ما انت حرّ في مطالبه وانما انت للحكام معتمل
قد احتملت من التاريخ لعنته لله درّك ماذا انت محتمل

ومع ذلك، فقد كانت العلاقة بين الرجلين، في البداية، طيبة، والاحترام بينهما متبادلا. ولما عاد الرصافي بعد هجرته الى بيروت القى الزهاوي في الحفلة التي اقيمت له ـ والتي سبقت الاشارة اليها ـ قصيدة قال فيها:

لقد عادَ معروف اخي بعد غيبةٍ ... فاهلاً برب الفضل والأدب الوَفرِ
واني لأطرى الشعر منه يهزّني ... واي امرىء للشعر إن هزّ لا يطرىَ
وقد شربت اذني سلافة لفظه ... فليس عجيباً ان اميل من السكر
واني بمعروف اعتزّ إنه ... اخو ثقة، والحرّ يعتز بالحـر
كلانا يريد الحق فيما يقوله ... واني وإيّاه الى غايةٍ نجري
فخذ بيد اللهم في كل دعوة ... وهذا اخي معروف اشدد به ازري

والقى الرصافي، في حفلة اقيمت لتكريم الزهاوي عند عودته من رحلة الى القاهرة، قصيدة قال فيها:

ارى بغداد من بعد اغبرار ... زهت بقدوم شاعرها الزهاوي
زهت بكبيرها ادباً وعلماً ... زهت بطبيب علّتها المداوي

***

وما الآداب في بغداد لولا ... يراع جميلها الآ دعاوي
إذا ما قال في بغداد شعراً ... رواه له باقصى الارض راوِ

ولكن الغيرة بدأت تدب بين الرجلين بعد ذلك، واخذا يتنافسان على زعامة الشعر، وكان يؤججها انصارهما بتقولاتهم ووشاياتهم ومقالاتهم، حتى حل الجفاء بينهما محل الوئام، وثارت في بغداد معارك ادبية طريفة في الصالونات والمقاهي، وتروى عن هذه المنافسة نوادر كثيرة.

كان الزهاوي في مجلس حضره الملك فيصل، فساله الملك عن رايه في شاعرية شوقي، فاجابه الزهاوي قائلا: «مولاي، ان تلميذي الرصافي اشعر منه».

وصادف ان اقام طلبة المدرسة الثانوية المركزية في بغداد حفلة ادبية دعي اليها الشاعران، ولما حضرا اجلسا على كرسيين متجاورين، فاخذ كل منهما يدير ظهره للآخر ويشيح بوجهه عنه. فاذا دعي الزهاوي الى المنبر القى قصيدة جاء فيها البيت الآتي:

وللشعر في بغداد روح ... وللشعر اعباء اقوم بها وحدي

فغضب الرصافي وغادر الحفلة احتجاجاً.[٣٩]

---

(٣٩) خيري العمري، **شخصيات عراقية**، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥، ص ٧٩.

وروى صديق للزهاوي أن الرصافي كان في مجلس يضم بعض الأدباء، فقرأ احد الحاضرين رباعية للزهاوي قال فيها:

أكثر الترب عظام ... من ضلوع وصدور
سحقتها أرجل الدهر ... واقدام العصور

فقال الرصافي معلقاً عليها: «غفر الله لأبي العلاء، فقد سطا على معاني الزهاوي لما نظم قصيدته: خفف الوطء...»[٤٠]

ولما توفي (امير الشعراء) احمد شوقي، كتب طه حسين مقالة قال فيها «إن إمارة الشعر قد انتقلت بعد وفاة شوقي من وادي النيل الى وادي الرافدين»، فلما وصلت هذه المقالة الى بغداد اشتدت المعارك الأدبية، وعادت المساجلات بين انصار الرصافي وانصار الزهاوي، وكان بعضها لا يخلو من طرافة. وأراد (عبد القادر المميز) صاحب جريدة (أبو حمد) الفكهة، أن يداعب الزهاوي ويستفزه، فنشر في الصفحة الأولى من جريدته خبراً مفاده أن وفداً من ادباء العراق ذهب الى الفلّوجة ليبايع الرصافي على امارة الشعر. وعلى الرغم من أن الزهاوي كان يعلم حق العلم ان الخبر ملفق، فانه ثار لنشره وغضب، وأهاب بأصدقائه ومريديه أن ينتصروا له. فصدرت الصحف في اليوم التالي وهي تحمل القصائد والمقالات التي يعلن فيها أصحابها بيعتهم للزهاوي بامارة الشعر.[٤١]

ولما اشتدت المعارك بين الطرفين وكادت تخرج عن حدود المعارك الأدبية المعتادة تدارك اصدقاء الشاعرين الأمر وبادروا الى اصلاح ذات البين، واقام المرحوم محمود صبحي الدفتري (وهو من وزراء العدل والخارجية في العهد الملكي ومن السياسيين المرموقين المحبين للآداب والمقدرين فضل الشاعرين) دعوة في داره في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٨ حضرها الشاعران وعدد من كبار السياسيين والأدباء والصحافيين في بغداد، وأصلح ما بين الرجلين. وفي هذه الدعوة أنشد الزهاوي قصيدة طريفة جاء فيها قوله:

أرى الصباحَ ولا أغرّدُ شادياً ... إني اذن حجرٌ من الأحجار
أنا بلبلٌ انشودتي أغرودتي ... أشدو بها، ويراعتي منقاري
لو لم أكن ذا لحيةٍ وسدارةٍ ... لحسبتني طيراً من الأطيار
جمع الأديب الحرّ صبحي شملنا ... في داره أكرم بها من دار

---

(٤٠) المرجع نفسه.

(٤١) المرجع نفسه، وكذلك أنظر تفاصيل وافية وطريفة عن المعارك الأدبية بين الرصافي والزهاوي وأنصارهما في: عبد الرزاق الهلالي، **الزهاوي: الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٩١ ـ ٣٥٢.

ولما توفي الزهاوي (في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٣٦) وقف الرصافي على قبره بين مشيعيه، يبكي بكاء مراً، والقى ابياتاً يقال إنه ارتجلها لساعته:

ايها الفيلسوف قد عشت مضنى ... مثل ميت وصرت بالموت حيّا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر ... ناطق بالبقاء لم يخش شيّا
انت فردٌ في الفضل حيا ومَيْتاً ... حزت في الحالين ذكرا عليا
سوف ابكي عليك شجوا واني ... كنت ابكيك في الحيـاة شجيا

أزمة «رسائل التعليقات»

في مطلع عام ١٩٤٤ نشر للرصافي كتاب صغير بعنوان «رسائل التعليقات» ولم يكد ينزل الى الأسواق وتتداوله الأيادي حتى قامت عليه ضجة كبيرة اثارها بعض رجـال الدين فاتهمـوه بالكفـر والالحـاد والتطاول على الرسول (ص)، ووصلته تهديدات بالقتل. ووجد الرصافي نفسه في محنة جديدة وهو يصارع الشيخوخة والأمراض والفقر.

وذهبت بعض الوفود الى البلاط الملكي وديوان رئاسة الوزارة مطالبة باتخاذ الاجراءات بحق الرصافي، فعهدت الحكومة الى مدير الأوقاف العام بالتحقيق في هذا الموضوع واستطلاع آراء علماء الدين في كتاب الرصافي وهل يمس الدين الاسلامي، فلما فعل جاءت الردود بان كتاب الرصافي ليس فيه افتئات على كرامة الدين، وان الرصافي يظهر في كتابه قوي الايمان بالله ورسوله، راسخ الاعتقاد بما جاء به القرآن الكريم، وبذلك انتهت هذه الأزمة.[٤٢]

النهاية

اشتد المرض على الرصافي خلال هذه الأزمة، فنقل الى المستشفى، ثم عاد الى داره بعـد ان تحسنت صحتـه قليـلاً وزال عنـه الخـطر. ووصف الشـاعـر الجواهري حالة الرصافي حين زاره في تلك الأيام قائلا:

«... في تلك الغرفة الجرداء التي لا انساها أبداً وكانما انا فيها الآن، وكان الرصافي ـ وهو ذاك امامي ـ على سرير من السرر الرخيصة لولا ان الرصافي هو الذي كان ينام عليه وكان هو الآن وقد احس بي وانا ادب على اطراف اصابعي لئلا اوقظه، وكانت الحيرة في اين اجلس اذ ليس في الغرفة كرسي او خشبة او حتى حجـر للجلوس، وكـانمـا هي في هذه الساعة لا غيرها اذ تتبدد الحيرة

(٤٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في قاسم الخطاط، المرجع سالف الذكر، ص ١٧٨ ـ ١٨١.

باستيقاظ الرصافي وبوجودي محلا على طرف السرير فيتحامل على نفسه، فالحّ عليه ملتمساً الاّ يفعل فيابى فاطيع، فاتحدث إليه آخر حديث واوجعه قبل ان يموت بايام...

«قد انقضى (عصر الرصافي) في هذه الغرفة الجرداء ولم يسدل عليه ستار، وكان الجو مشمساً والضوء يؤذي عيون الرصافي، وكان على درجة من الحرارة لا يطيقها مريض مثقل لا بدّ له من ان يمدّ عليه الغطاء، احلف صادقاً انه لم يكن في غرفة صاحب هذا الجيل اي ستار...»[٤٣]

وفي ليلة الخميس الموافق ١٥ آذار (مارس) اشتدت الآلام على الرصافي فعاده صديقه الدكتور اسماعيل الصفار، وكانت موجة من البرد قد مرت ببغداد فاصيب الرصافي بذات الرئة. وكان في تلك الليلة ينتفض انتفاضات مرعبة، ويمسك جنبه بيده وهو يقول متوجعاً من الالم: «آمان، آمان». وفي تلك الليلة انتقل الرصافي الى جوار ربه. وهكذا انتهى الشاعر القائل:

تنظّمنا الايامُ شعراً وإنما تردّ المنايا ما نظمنَ الى النثر
فمنّا طويلٌ مسهبٌ بحرُ عمرِه ومنا قصيرُ البحرِ، مختصرُ العمرِ

وكان الرصافي في حوالي السبعين من عمره.

وصيّة الرّصافيّ

بينما كان أصدقاء الرصافي في داره يستعدون لتشييعه الى مثواه الأخير ذُكرت وصية الرصافي التي كتبها واودعها صديقه المحامي محمود السنوي، وطلب اليه ان لا يذيعها الاّ بعد موته. فاخرج محمود السنوي الوصية واعطاها الى صديقه وراويته مصطفى علي، فقراها على الحاضرين، وكانت بدون تاريخ:

نَصّ الوَصيّة

«أراهم يهيّجون عليَّ العوام باسم الدين، ولا أظنهم يتركونني حتى يعدموني الحياة وليس لي مَن التجيءُ اليه سوى الله، وكفى بالله حافظاً وحسيبا، وليس لي من الاقارب من أعهد اليهم بوصيتي سوى معارفي من الأصدقاء الأحرار من أهل البلاد، فلذا اكتب هذا اليهم عسى ان يقوموا بتنفيذه ولهم من الله الأجر.

«كل ما كتبت من نظم ونثر لم اجعل هدفي منه منفعتي الشخصية، وانما

(٤٣) محمد مهدي الجواهري، مهرجان الرصافي، اتحاد الأدباء العرب، بغداد، ١٩٥٩.

قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه، والقوم الذي انا منهم، ونشأت بينهم، فلذا لم أوفّق الى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة.

«لا املك سوى فراشي الذي انام فيه، وثيابي التي البسها. وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي، بل هو مال أهله الذين يساكنوني.

«كل من اعتدى عليّ في حياتي فهو في حِلّ مني. وان كان هناك من إعتديت عليه فهو بالخيار إن شاء عفا عني، وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو احكم الحاكمين.

«انا ـ ولله الحمد ـ مسلم، مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا ارائي فيه ولا اداجي، إلا اني خالفت المسلمين فيما أراهم عليه من امور يرونها من الدين، وليست هي منه الا بمنزلة القشور من اللباب، ولا يهمني من الدين إلّا جوهره الخالص، وغايته المطلوبة التي هي الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الإجتماعية، والحياة الأخروية ما أمكن الوصول اليه من ذلك بترك الشرور وعمل الصالحات وكل ما عدا ذلك من امور الدين فهي وسيلة اليه، وواسطة له ليس إلا.

«بما ان «عبد بن صالح» الذي هو معاوني على العيش في مسكني كنت انا السبب في زواجه، وقد ولد له بنات صغار، وليس له من اسباب المعيشة والكسب ما يجعله قادراً على إعاشتهن، أرجو من أهل الخير في الدنيا، ومن اصدقائي الكرام الأحرار ان يسعوا في إيجاد شغل له يكسب به ما يقوم بإعاشتهن وان الله لا يضيع اجر المحسنين.

«كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها انا تباع لمن يرغب في شرائها على ان يكون له حق الطبع والنشر، ولا يكون لي فيها سوى الأسم، ويدفع المال الحاصل من بيعها الى بنات «عبد».

ادفن في اي مقبرة كانت، على ان يكون قبري في طرف منها، وان يكون في ارض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلا.

ان كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده، فان الموت رحمة واسعة منه عليهم. فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء.

«كل من عليها فانٍ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام».

المؤمن بالله وحده لا شريك له
معروف الرصافي

تمثال الرصافي

بعد وفاة الرصافي بخمسة وعشرين عاماً قررت أمانة العاصمة في بغداد إقامة تمثال لشاعرها الكبير، وكلفت أحد الفنانين العراقيين بصنعه.

ونصب التمثال في (ساحة الأمين) في قلب العاصمة العراقية، وأزيح عنه الستار بتاريخ ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٠، وهو تمثال ضخم للرصافي بالملابس الافرنجية على الرغم من أن الرصافي كان قد استبدلها منذ مدة طويلة بالملابس العربية التي وجدها اقل كلفة واكثر اراحة. وكان تمثال الرصافي وعبد المحسن السعدون ـ الذي طالما كان يسنده ويحميه ـ التمثالين الوحيدين في بغداد.

وفي التمثال شموخ في الوقفة، وصورة حيّة لاعتزاز الرصافي بنفسه. وقد القيت في الاحتفال بازاحة الستار عنه بعض الكلمات القصيرة عن الرصافي، ولو استطاع التمثال نفسه ان ينطق لردد قول الشاعر:

إني رأيتك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

على أن الرصافي لم يكن أول عظيم تجحده أمته في حياته، لتندبه وتمجّده وتقيم له التماثيل بعد مماته. وكان جزء ضئيل من نفقات التمثال يكفي لتوفير عيش كريم لهذا الشاعر العظيم.

شعرُ الرصافي

خلّف الرصافي تراثاً شعرياً ضخماً في كميته، ثميناً في محتواه، متنوعاً في اغراضه، وكان شعره متين السبك، شديد الأسر، وقدرته على النظم خارقة، وسيطرته على القافية قوية. وإذا كانت في شعره أحياناً بعض الألفاظ الحوشية والصور المجازية التي يخيل لقارئها انه إزاء شاعر جاهليّ او امويّ، فانّ تلك الألفاظ كانت على الدوام في مواضعها المناسبة، دقيقة في التعبير عن المعنى الذي يريده بحيث لا يمكن أن يحل محلها غيرها بسهولة، وقد لاحظ الدكتور ابراهيم السامرائي أن الرصافي «حين يغرب في لفظه، وحين يعرض عليك صوراً قديمة فيها كثير من الطبيعة العربية البدوية، وفيها المنهج التقليدي لنظم القصيدة العربية، إنما يقابل هذا سهولة في القصيدة نفسها، حتى كأنك تقرأ مقالة في صحيفة يومية من صحف هذا الزمان...»[٤٤] ولا يكاد القارىء يجد في

---

(٤٤) الدكتور ابراهيم السامرائي، مقاله بعنوان «الرصافي بين المحافظة والتجديد (الجانب اللغوي)» ـ مجلة **الثقافة الجديدة**، بغداد، آذار (مارس) ١٩٥٩.

شعر الرصافي اثراً لتكلّف في صياغة فكرته في قالب شعري، ولا اي تقديم وتاخير مراعـاة للوزن او القـافية ـ مما يجده في شعر الزهاوي بكثرة ـ بل ان شعر الرصافي فيه سلاسة وفيه موسيقى، وكانه حديث يسترسل فيه استرسالاً. وكان الرصافي مدركاً لموهبته هذه حين قال:

وجردت شعري من ثياب ريائه ... فلم اكسه الا معانيه الغرّا
وارسلته نظماً يروق انسجامُهُ ... فيحسبه المصغي لانشاده نثرا

وكـانت هذه القدرة لدى الرصافي تعود بلا ريب الى دراسته الاولى في عهد يفاعته، وكثرة محفوظاته الشعرية ودراسته اللغوية والادبية وملازمته استاذه الالوسي اثنتي عشرة سنة في السن التي يكون فيها «العلم في الصغر كالنقش في الحجر».

قال صديقه العلامة طه الراوي في مقالة كتبها بعد وفاته: «لو قلت لك إنني لم القَ في عمري اديباً أوسع منه معرفةً باللغة وخصائص مفرداتها وبالصرف والنحو وما يتصل بقواعدهما من قيود وشروط ـ لم اعدُ الواقع...»[٤٥]

اما شعره السياسي والقومي فقد سبقت إشارات كثيرة إليه خلال البحث عن حياة الرصافي في مراحلها المختلفة، ولعل هذا الشعر هو الذي اكسب الرصافي شهرته الواسعة ولفت الانظار اليه في بداية عهده. وكان على الدوام مطبوعاً بطابَـع شخصيتـه القـويـة الصريحـة وجـراتـه البالغة. وقد أيد الرصافي الاتحاديين، ودافع عن الدولة العثمانية، ولكنها حين اتخذت من العرب موقفاً لا يرتضيه، هاجم حكمهم، وانتقد (سلطانهم) بشجاعة نادرة المثال. وقصائده «تنبيه النيام»، و «إيقاظ الرقود»، و «رقية الصريع» شواهد مهمة على ذلك، على ان في ديوانه الكثير غيرها.

ولـما احتـلّ الانكليـز العـراق حاربهم الرصافي بشعره في عهدي الاحتلال والانتـداب بلا هوادة، كمـا حارب اعـوانهم. وكذلك هاجم الملك فيصل الأول ونوري السعيد بشجاعة غريبة كلّفته غالياً. ولو سايرهما وصانعهما لسارت حياته في إتجاه مغاير، ولمَا قضى الشطر الأعظم من عمره رهين البؤس والعوز.

وبكى الرصافي في شعره امجاد الأمة العربية، واشاد بابطالها في عصورها الزاهرة، وبأياديهم على الحضارة الانسانية، ومن عيون شعره في هذه الاغراض قصيدته «نحن والماضي» التي يفخر بها بالعرب ويمجّد الرسول الكريم، وكذلك قصـائده في سقوط بغداد والخلافة العباسية على يد هولاكو. ودعا الى وحدة

(٤٥) طه الراوي، مقالة بعنوان «صديقي الرصافي»، مجلة عالم الغد، بغداد، العدد ٩ الصادر في ١/٤/١٩٦٥.

العرب التي وجد فيها السبيل الوحيد لنهضتهم قائلا:

قد انهضتهم الى العلياء وحدتهم واليوم اقعدهم عنها ان انقسموا

ومع ذلك فلم يفته ان يؤكد في كل مناسبة على ان الرجوع الى الماضي، والتفاخر بامجاده لا يجدي وحده، بل لا بد من اصلاح الحاضر، والتطلع الى مستقبل افضل يُبنى على العلم والمعرفة:

اجل، ان القبائل من معدّ علوا فتسنموا المجد المجيدا
ولكن ايها العربي إني اراك لغير ما يجدي مريدا
وما يجدي افتخارك بالأوالي اذا لم تفتخر فخراً جديدا
ارى مستقبل الأيام اولى بمطمح من يحاول ان يسودا
وهل إن كان حاضرنا شقيّا نسود بكون ماضينا سعيدا
وشرّ العاملين ذوو خمول إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

ومن اهم الاغراض التي عالجها الرصافي في شعره هي القضايا الاجتماعية والانسانية. وفي قصائده الاجتماعية قيم حضارية كانت جديدة في زمانها، واهداف نبيلة في إيقاظ الأمة، ومعالجة مشاكلها الاجتماعية والتنبيه اليها، فقضايا الفقر، ومشاكل الطلاق، واهمية العلم والتعليم، والحرية الاجتماعية والسياسية والفكرية، وحرية الشعوب في تقرير مصيرها، واهمية الفنون الجميلة واثرها في نهضة الامم، من اهم الموضوعات التي شغلت جانباً كبيراً من إهتمام الرصافي. وقصائده (ام اليتيم) و(الطفل في العيد) و(الفقر والسقام، و(السجن في بغداد) و(الأرملة المرضعة) من جملة قصائده التي ذاعت شهرتها في البلاد العربية جميعاً، وتغنى بها الناس ووجدوها صادرة عن تجارب حقيقية، وعاطفة صادقة. وقد يبدو لنا بعضها الآن ساذجاً يحتوي على بدهيات اصبحت معروفة لكل انسان. ولو قال احد الشعراء مثلها اليوم لما التفت اليها احد في اغلب الظن، ولما اعجب بها قارىء الا من ناحية متانة لغتها وقوة سبكها. ولكنها لم تكن كذلك في الوقت الذي قيلت فيه ونشرت، ولو ظهر المتنبي في زماننا هذا، ونشر قصائده في صحف، لسخّف الناس معظمها، ولذلك لا بد ان يكون الحكم على قصائد الرصافي، وخاصة الاجتماعية منها، مقروناً بزمانها وبمقاييسه.

ويدخل في باب شعره الاجتماعي قصائده في المراة وتحريرها. وفي ديوان الرصافي باب كامل اسماه (النسائيات) تضمن قصائد عن المراة وتاخرها في الشرق، دعا فيها الى تحريرها وتعليمها والى احتلالها مكانها اللائق في المجتمع.

ويبدو أن الرصافي كان متأثراً في هذه القصائد بقاسم أمين، وبأفكار التحرر التي كانت قد ظهرت في تركيا حينما كان الرصافي مقيماً فيها.

وكانت أكثر قصائد الرصافي الاجتماعية والوطنية ممزوجة بحالاته النفسية والوجدانية، ففيها حنين الى الوطن حينما يكون بعيداً عنه، وعتاب على بغداد لتـاخرها الاجتماعي والسياسي، ولتناسيها إبنها الذي ما انقطع عن التغني بحبه لها حتى يومه الأخير. ولكنه في الوقت نفسه دعا الى التسامح مع الآخرين، والصفح عن الأعداء، والقناعة في العيش. ووصيته خير دليل على ذلك.

أما قصائده الفلسفية والكونية فهي نتاج نزعته العقلية، وفيها طائفة من التأملات النفسية، والآراء والتساؤلات عن أصل الوجود وما وراء الطبيعة.

وعلى الرغم من أن الرصافي عاقر الخمرة واحبها، وكان يكثر من التدخين، فانه كان ينبّه الى اضرارهما، ويحذّر منهما، وقد قال فيهما ـ فيما قال :

اني لأمتصّ جمراً لُفّ في ورق	إذ تشربون لهيباً ملءَ كاساتِ
كلاهما حمق يفتر عن ضرر	يسمّ من دمنا تلك الكريات
يا من يدخن مثلي كل آونةٍ	لُمني انْك ولا ترضى اعتذاراتي

امـا غزله فهو أقل شعره، وقد كتب معظمه في شبابه، وفيه كثير من الرقة والموسيقى التي تميز بها جميع شعره، ولكنه مع ذلك يفتقر الى حرارة العاطفة وصدقها، وهو على أي حال لم يبلغ فيه الشاو الذي بلغه في الأغراض الأخرى.. وله قصيـدتـان أو ثلاث في الغـزل المذكر، وبعض الغزل المكشوف. وقد كان الرصافي ـ على قول امين الريحاني ـ شاعراً عاطفياً مشغوفاً بالجمال على الوانه، الجمال الطبيعي، والجمال الفني، وجمال المراة الفائق كل جمال.[٤٦]

ومما يلاحظ في الدراسات الكثيرة التي صدرت عن شعر الرصافي أنه لم يفرد أي منها فصلا خاصاً عن هجاء الرصافي بوصفه احد الأغراض الرئيسية التي برز فيها، في حين أن الهجاء كان من أهم جوانب شعره، وهو في ذلك لا يقلّ قوة وعنفـاً عن الحـطيئـة وجرير. وهجاؤه مقذع، وبذيء أحياناً، وفيه سخرية شديدة وقسوة بالغة. وقد نال الملك فيصل الأول، ونوري السعيد، والزهاوي، والانكليز النصيب الأكبر من شرر ذلك الهجاء، وسار على السنة الناس ورددته عامتهم وخاصتهم على نطاق واسع.

وأما مدائحه فقليلة أيضاً، وهي وليدة المناسبات. وله قصائد كثيرة في الرثاء

---

(٤٦) أمين الريحاني، المرجع سالف الذكر، ص ٢٥٣.

معظمها جيد، فيها عاطفة صادقة. وله شعر في الشكوى، وفي الهجاء، وهجاؤه مقذع وبذيء احياناً. وفي ديوانه باب كامل اسماه (الحربيات) وصف فيها حروب طرابلس الغرب، والحرب الروسية ـ اليابانية وغيرهما، وفيه باب اسماه (الحريقيات) وصف فيه الحرائق الكبيرة التي كانت تحدث في الاستانة. وله مقطوعات كثيرة على كثير مما قاله في المناسبات والاغراض المختلفة، بينها مقطوعات رائعة واخرى ذات مستوى عادي، يمكن ان توصف بالنظم وليس الشعر.

ومن المتفق عليه ان اهم مزايا الرصافي في جميع شعره قدرته الفائقة في الوصف. بل ان الرصافي ـ كما ذهب الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ فاق فيه جميع شعراء جيله.[٤٧] وقد تناول الرصافي في قصائده وصف الجماد والنبات ومشاهد العمران ومناظر الطبيعة والمخترعات الحديثة، وتتجلى في وصفه دقة في الملاحظة، ووضوح في الرؤية وسعة في الخيال، وكانه حين يصف احد المخترعات الحديثة او الجماد ينفخ فيه الحياة، ويخرجه من مرتبة الجماد، ويضيف عليه صفات الاحياء، بخيال خصب وتشبيهات دقيقة. ويجد القارىء في صفحات ديوان الرصافي كلها ابياتاً رائعة في الوصف، مهما كانت اغراض القصيدة، ونستشهد هنا بقصيدة واحدة في موضوع يبدو بسيطاً، وهو وصف (القطار). ففي هذه القصيدة يذكر الرصافي ما يعرفه كل انسان عن القطار، ولكنه مع ذلك ياتي بتشبيهات رائعة ترتفع به عن مستوى الآلة الجامدة. وهذه القصيدة كانت من المحفوظات الشعرية التي يدرسها تلامذة المدارس الابتدائية فتثير تشبيهاتها إعجابهم واهتمامهم، كما كانت تهز القارىء الناضج المثقف، نستشهد بها لبساطة موضوعها، وما قد يبدو من سذاجته، لانها تظهر قدرة الرصافي على جعل مثل هذا الموضوع البسيط مادة لقصيدة رائعة في الوصف تذكر القارىء بعنترة العبسي يصف جواده، او البحتري يصف إيوان كسرى او بركة المتوكل:

وقاطرة ترمي الفضا بدخانها ... وتملأ صدر الأرض في سيرها رعبا
لها منخر يبدي الشّواظ تنفّسا ... وجوف به صار البخار لها قلبا
تمشّت بنا ليلاً تجر وراءها ... قطاراً كصفّ الدّوح تسحبه سحبا
فطوراً كعصف الريح تجري شديدة ... وطوراً رخاء كالنسيم اذا هبّا
تساوى لديها السهل والصعب في السرى ... فما استسهلت سهلا ولا استصعبت صعبا
تدك متون الحزن دكّا وانها ... لتنهب سهل الأرض في سيرها نهبا

(٤٧) مصطفى عبد اللطيف السحرتي، المرجع سالف الذكر، ص ٢٨٠

يمرّ بها العالي فتعلو تسلّقا ... ويعترض الوادي فتجتازه وثبا
وتخترق الطود الأشم إذا انبرى ... وقد وجدت من تحت قنته نقبا
يرنّ بجوف الطّود صوت دويها ... اذا ولجت في جوفه النفق الرحبا
لها صيحة عند الولوج كانها ... تقول يا طود خلّ لي الدربا
وتمضي مضي السهم فيه كانما ... ترى افعواناً هائجاً دخل الثقبا
تغالب فعل الجذب وهي ثقيلة ... فتغلب بالدفع الذي عندها الجذبا
طوت بالمسير الأرض طيًا كانها ... تسابق قرص الشمس أن يدرك الغربا
وما ان شكت أينا ولا سئمت سرى ... ولا استهجنت بعدا ولا استحسنت قربا

معتقداته الدينية والسياسية

يبدو الرصافي في أكثر شعره مؤمناً بالله ورسوله، غيوراً على اسلامه، وكان يميل الى (السلفية) متاثراً باستاذه الالوسي. وفي شعره امثلة صريحة على ذلك. فهو ينتقد حلقات الذكر، وزيارة القبور وتقبيلها، التقيد بشرط الواقف في الوقف اذا كان فيه ظلم أو ضرر.

وقد اتهم الرصافي في زمانه بالكفر والالحاد، وقيل عنه انه كان يدعو الى البلشفية والاشتراكية، وقد اشار الى هذين المذهبين في شعره صراحة، ودعا الى إنصاف العمال وإصلاح احوالهم، ومجّد دورهم في بناء المجتمع.

وقال في بعض قصائده:

يا قوم خلوا الفاشية انها ... في السائسين فظاظة وتعجرف
للانكليز مطامع ببلادكم ... لا تنتهي إلّا بان تتبلشفوا

وقال ايضاً:

انما الحق مذهب الاشترا ... كية فيما يختص بالاموال
مذهب قد نحا اليه أبو ذر ... قديما في غابر الاجيال

وقد حملت هذه الأبيات وامثالها الدكتور صلاح خالص على كتابة مقالة خلاصتها ان الرصافي كان شاعراً طبقياً، وان صوته صوت طبقة معينة هي طبقة الكادحين، وانه أسهم في محاربة البرجوازية.[٤٨]

وعلى الرغم من اننا لا نظن ان الرصافي كان ماركسياً، يدعو الى تطبيق النظام الشيوعي، فلا يسعنا ايضاً أن نتفق مع الأستاذ هلال ناجي فيما ذهب إليه من

---

(٤٨) الدكتور صلاح خالص، مقالة بعنوان «الرصافي شاعر الكادحين» في **الثقافة الجديدة**، السنة السابعة، العدد ٨، بغداد، نيسان (ابريل) ١٩٥٩.

ان البلشفية كانت مجرد لفظة اقتضتها ضرورة القافية.[٤٩] فقد كان الرصافي شاعراً متمكناً من الصياغة الشعرية بدرجة عالية، وليس ممن يلجا الى لفظة لها دلالات خطيرة كالبلشفية لمجرد انه كان يبحث عن لفظة تنتهي بحرف الفاء.

ومما يزيل هذا الشك لدينا الآن ما نقرؤه في الفصل المعنون (الاشتراكية في الاسلام) من هذا الكتاب الذي ننشره، وهو من اطول فصوله، اذ قال فيه: «... ان دين الاسلام بعيد كل البعد عن (الراسمالية) الجشعاء الظالمة المستبدة بنعم الله التي جعلها مشاعة بين خلقه. كما انه بمبادئه الحقة منطبق كل الانطباق على مبدا (الاشتراكية الشيوعية) التي تبطل الملك ولا تجعل للمرء بسطة في العيش الا بمقدار ما له من كد دائب وعمل منتج».[٥٠]

ولا يستطيع احد ان يؤكد آراءه في الاشتراكية والشيوعية باكثر من هذه الصراحة. ولكننا نرى ان الرصافي، على الرغم من صراحته هذه في اعتقاده بانطباق الاسلام على مبدا (الاشتراكية الشيوعية) لم يكن ماركسياً ولكنه كان يؤمن بما دعت اليه المذاهب الاشتراكية من قضايا انسانية واجتماعية ويستنكر استغلال الانسان للانسان، واستئثار طبقة باخرى، ويدعو الى زوال الاقطاع والراسمالية وإنصاف العمال ومعاونة الفقراء، وهي جميعاً افكار انسانية عامة لا يعد كل من قال بها او دعا اليها شيوعياً. ولكننا لا نعتقد ان الرصافي كان يرغب في ان يقوم في العراق نظام من الحكم على الأسس القائمة في الاقطار الشيوعية، بل لعله كان اول من يهاجمه ويهجو رجاله. لانه كان مع إيمانه بتلك المبادىء الانسانية التي تدعي الانظمة الاشتراكية بالتمسك بها، يدعو ايضاً الى وحدة العرب القومية، والتمسك بتعاليم الاسلام الاخرى، ويطالب بالحرية السياسية، وحرية الصحافة، وحرية الفكر، وهي امور لا تقبلها تلك الأنظمة، وتجد فيها تهديداً لكيانها.

وقد اظهرت وصية الرصافي حقيقة إيمانه، وقطعت الشكوك فيها. ومع ذلك لا يفوتنا ان نلاحظ ان وصية الرصافي كتبت في أواخر ايامه، ومن يدري، فلعل بعض الشكوك ساورت الرصافي في شبابه، او كانت لديه نزعات من الالحاد والتحدي ظهرت آثارها في بعض شعره، كقوله مثلا:

ولست من الذين يرون خيراً ... بابقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت ... بوحي منزل للانبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع ... من العقلاء ارباب الدّهاء
ولست من الالى وهموا وقالوا ... بانّ الروح تعرج للسماء

(٤٩) هلال ناجي، القومية والاشتراكية في شعر الرصافي، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٠٢
(٥٠) الصفحة (١٠٢) من هذا الكتاب

لان الارض تسبح في فضـــاء وما تـلك السمـاء سوى الفضـــاء

ولعله ايضاً، في بعض مراحل حياته، اصبح في حالة من الياس والاستياء فراى في الاشتـراكية والشيوعية الخلاص الوحيد لبلاده مما هي فيه، ولكنه تراجع عن آرائه هذه كلما تقدمت به السن، وادرك ان اجله يقترب، فاستعاد ايمانه، واضاء نور الاسلام قلبه مرة اخرى، والله اعلم بالسرائر.

ان شعـر الرصافي السياسي والقومي يضعه في القمة، وهو يبدو في معظم قصائده مؤمناً بعروبته، داعياً الى وحدة امته، ناعياً تاخرها وجمودها. وقد واكب الرصافي جميع الحركات السياسية والقومية التي مرت بها البلاد العربية منـذ مطلع شبـابه حتى يوم وفاته، وكان له في كل قضية راي، وفي كل حركة صوت، وفي كل مقام مقال.

ومع ذلك فقد أخذت عليه بعض المواقف السلبية مثل مسايرة الاتحاديين في بداية عهدهم، ولكنه هاجمهم فيما بعد حينما انحرفوا عن مبادئهم، ووقفوا من العرب موقفاً غير عادل. واخذ على الرصافي شجبه المؤتمر العربي في باريس، واهم من ذلك كله شجبه الثورة العربية التي كان له فيها راي خاص، وسكوته عن إعدام جمال باشا لأحرار العرب، وتقلبه في الراي بمدح الملك فيصل ونوري السعيد وهجائهما. كما اخذ عليه سكوته عن الاستعمار الايطالي في ليبيا وظلم شعبها لمدة طويلة. وخلوّ شعره من ذكر المشكلة الفلسطينية وثورات ابنائها العرب، واخصها ثورة سنة ١٩٣٦ على الانكليز، مع ان اخبار هذه الثورة ملأت دنيا العرب وشغلت العالم، ثم سكوته عن وعد بلفور العدواني الذي لم يرد له ذكر في شعره الكثير الذي هاجم فيه الامة التي ينتمي إليها بلفور.[٥١] وكذلك قلة ما نظمه في الاستعمار الفرنسي ومظالمه في سورية، على الرغم من تحذيره العرب من مطامع فرنسا فيها عندما عقد المؤتمر العربي الأول في عاصمتها. ولم يتطرق الرصافي في شعره الى ذكر الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ ضد الانكليز الذين طالما هاجمهم بعد ذلك في شعره بلا هوادة.

وللرجـل ـ كمـا قال السحرتي ـ ظروفه الخاصة وحالاته النفسية التي لا ندري بها.[٥٢] ولكن للرصافي، الى جانب هذه المواقف السلبية، مواقف إيجابية رائعة تفوقها وتطغى عليها. والمرء لا يحاسب على سكوته عن موضوع بل إنّه يحـاسب على ما قاله، وما قاله الرصافي كثير يضمن له مكانة خالدة في تاريخ الأدب العربي ليس في العصر الحديث وحده بل في جميع عصوره.

نجدة فتحي صفوة

(٥١) انظر مثلا: هلال ناجي، المرجع سالف الذكر، ص ١٠٧

(٥٢) مصطفى عبد اللطيف السحرتي، المرجع سالف الذكر، ص ٢٨٠.

خَواطر وَأفكار

امي : اسمها فاطمة بنت جاسم ونجود الشرّاد من عشيرة الفرّاجول التي هي بطن من شمّر ولم تزل هذه العشيرة في حالة البداوة يوجد قسم منها اليوم في لواء الكوت يشتغلون بالزراعة . هي كانت رجعي في كل شيء حتى بعد تجاوزي العقد الاول من حياتي لاني كنت لا ارى ابي الا نادرا فهي التي كانت ترسلني لكتّاب وانا صغيرة وهي التي كانت تجهزني كل ما يلزم لذلك . انا اليوم كلما ذكرتها جاشت نفسي بالحزن لاني اشعر انني لم ايفها حقها على القيام بالواجب الذي لها علي ولم استطع ان اقوم ببعض الواجب لها الا بعد سفري الى الآستانة فكنت ارسل اليها الدراهم من هناك على التوالي حتى جاءت الحرب وسقطت بغداد فانقطعت عني اخبارها وتوفيت بعد سقوط بغداد ولم يبلغني خبر وفاتها حتى جئت الى بغداد سنة ١٩٢٠ ولذا اصبح اليوم ذكرها وانا منها في ذكرى محزنة ومؤلمة جدا .

ابي : اسمه عبد الغني من عشيرة الجبارة الكائنة في داخل لواء كركوك وهذه العشيرة تدعى انها من السادة العلوية والناس يعرفونها كذلك ولم اكن ذلك من ابي لاني كنت قليل الاجتماع به وانما حققته من بعض الذين يعرفون هذه العشيرة . وكان نحن

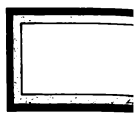

الرصافي بقلمه

أمي: اسمها فاطمة بنت جاسم ونجود الشرّاد من عشيرة القراغول التي هي بطن من شمّر ولم تزل هذه العشيرة في حالة البداوة يوجد قسم منها اليوم في لواء الكوت يشتغلون بالزراعة.

هي كانت مرجعي في كل شيء حتى بعد تجاوزي العقد الأول من حياتي لأني كنت لا أرى أبي إلّا قليلا فهي التي كانت ترسلني لكتاب وأنا صغير وهي التي كانت تجهّز لي كل ما يلزم لذلك. أنا اليوم كلما ذكرتها جاشت نفسي بالأحزان لأني أشعر انني لم يساعدني الحظ على القيام بالواجب الذي لها عليّ ولم أستطع أن أقوم ببعض الوجب لها إلّا بعد سفري إلى الآستانة فكنت أرسل إليها الدراهم من هناك على التوالي حتى جاءت الحرب وسقطت بغداد فانقطعت عني أخبارها وتوفيت بعد سقوط بغداد ولم يبلغني خبر وفاتها حتى جئت الى بغداد سنة ٢١ ولذا أصبح اليوم وأمسي وأنا منها في ذكرى محزنة ومؤلمة جدا.

أبي: اسمه عبد الغني من عشيرة الجيارة الكائنة في داخل لواء كركوك وهذه العشيرة تدّعي أنها من السادة العلوية والناس يعرفونها كذلك ولم أسمع ذلك من أبي لأني كنت قليل الاجتماع به وإنما حققته من بعض الذين يعرفون هذه العشيرة. وكان محق.

خواطر وافكار

الخاطر هو الهاجس الذي يقع في خلدك عفوا بلا قصد ، او بداع من دواعي التفكير . واكثر ما يكون اذا كنت معتزل الخلطاء منفردا عنهم . ولو اني منذ اول عهدي بالتفكير جمعت خواطري لكانت شيئا كثيرا .

وها انا اليوم اثبت لك في صفحة الكراسة شيئا مما عن او يعن لي من الخواطر . واضيف اليها بعض ما صادفته في كتب الادب من المسائل التي لها شأن في الادب او في غيره من امور الحياة .

وان الذي دعاني الى اثباتها هنا هو انها حرة طليقة في سموحها من كل قيد فلا ارمي من ورائها الى غاية خاصة ، ولا اريد بها اقناع مخالف او ارضاء موافق . بل انا منها مثلما هي مني حر طليق فلا أساري بها ولا اداجي . واذا كانت كذلك فعسى ان يجد فيها من يطالعها من اهل الخبر فائدة . والا فكم سودت الحبر قبلها من قراطيس كانت في الناس اقل لغطا من نقع الكراديس . فاليكها كما هي بلا ترتيب ولا تبويب .

الكاتب

معروف الرصافي

٣٠ آب ١٩٤٠ الفلوجة .

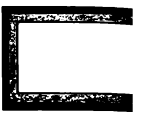

خواطر وأفكار

الخاطر هو الهاجس الذي يقع في خلدك عفواً بلا قصد، أو بداعٍ من دواعي التفكير. وأكثر ما يكون اذا كنت معتزل الخلطاء منفرداً عنهم. ولو اني من أول عهدي بالتفكير جمعت خواطري لكانت شيئاً كثيراً.

وها أنا اليوم أثبت لك في هذه الكرّاسة شيئاً مما عنّ أو يعنّ لي من الخواطر. وأضيف إليها بعض ما صادفته في كتب الأدب من المسائل التي لها شأن في الأدب أو في غيره من أمور الحياة.

وإن الذي دعاني إلى إثباتها هنا هو أنها حرة طليقة في سنوحها من كل قيد فلا أرمي من ورائها الى غاية خاصة، ولا أريد بها إقناع مخالف أو إرضاء موافق. بل أنا منها مثلما هي مني حر طليق فلا أماري بها ولا أداجي. وإذا كانت كذلك فعسى أن يجد فيها من يطالعها من أهل الحرار فائدة. وإلا فكم سودت المحابر قبلها من قراطيس كانت في الناس أقلّ نفعاً من نقع الكراديس. فإليكها كما هي بلا ترتيب ولا تبويب.

الكاتب

معروف الرصافي

٣٠ آب ١٩٤٠ الفلوجة

لوكنت مصورا

لوكنت مصورا لصورت محمدا رسول الله جالسا في مسجده بالمدينة وحوله اصحابه وقد جلست الى جنبه السيدة عائشة ام المؤمنين ملاصقة له متكئة عليه واضعة خدها الايمن على منكبه الايسر وقد طوقته بيدها اليمنى فوضعتها على منكبه الايمن وهي في هذه الحالة تنظر الى الحبشة يرقصون في المسجد النبوي ويلعبون والنبي ينظر اليها تارة واليهم اخرى متابعة لها فيما ارادت من النظر الى هذا الرقص الشريف .

هذه هي الصورة الحسنى التي اردت تصويرها لوكنت مصورا ماهرا إذن لأتيت بمعجزة غراء من معاجز الفنون الجميلة . و لأظهرت للعالم البداعة لوحاً بديعاً من الواح الحب والجمال يساير اللوح المحفوظ في العظمة والجلال ، ولكشفت الستار عن سر عظيم من اسرار الحب النبوي الذي اشتركت في تجميله الارض والسماء

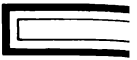

لو كنت مصوراً

لو كنت مصوراً لصورت محمداً رسول الله جالساً في مسجده بالمدينة وحوله أصحابه وقد جلست إلى جنبه السيدة عائشة أم المؤمنين ملاصقة له متكئة عليه واضعة خدها الأيمن على منكبه الأيسر وقد طوقته بيدها اليمنى فوضعتها على منكبه الأيمن وهي في هذه الحالة تنظر الى الحبشة يرقصون في المسجد النبوي ويلعبون والنبي ينظر إليها تارة وإليهم أخرى متابعة لها فيما أرادت من النظر الى هذا المرقص الشريف.

هذه هي الصورة الحسنى التي أردت تصويرها لو كنت مصوراً ماهراً إذن لأتيت بمعجزة غراء من معاجز الفنون الجميلة. ولأظهرت إلى عالم البداعة لوحاً بديعاً من الواح الحب والجمال يساير اللوح المحفوظ في العظمة والجلال، ولكشفت الستار عن سر عظيم من أسرار الحب النبوي الذي اشتَرَكَتْ في تبجيله الأرض والسماء.

الحق والباطل

اذا انسلخنا من أنفسنا واندمجنا في حقيقة الوجود الكلّي المطلق اللانهائي علمنا أن الحق كلمة ترادف الممكن وأن الباطل كلمة ترادف المحال. وعندئذ قلنا: كل ما وقع في هذا الوجود فهو حق إذ لو كان باطلاً لما وقع. وكل ما لم يقع فهو باطل لأنه مستحيل الوقوع فلو كان حقاً لما امتنع وقوعه.

فالحق هو الممكن والباطل هو المحال. وإذا ثبتت حقية كل ما وقع في عالم الكون والفساد انتفى الحسن والقبح من الوجود الكلي المطلق اللانهائي. وتبيّن لنا أن ليس في الدنيا باطل. وهذا هو الذي تقتضيه الآية الواردة في سورة هود من القرآن: «وما من دابّة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم».

إذ لا ريب أن الله الذي هو على صراط مستقيم اذا كان هو الآخذ بناصية كل دابة فكان هو القائد لها في جميع أحوالها كانت كل دابة في جميع أحوالها على صراط مستقيم أيضاً بحكم الضرورة. وهذا هو معنى ما قلنا من أنه ليس في الدنيا باطل. وان الباطل هو المحال الممتنع الوقوع. فإذا قلنا لشيء واقع بأنه باطل كان معنى ذلك أنه باطل بالنسبة إلينا لأنه مخالف لما نريده ونألفه لا بالنسبة إلى الحقيقة المطلقة. فكل ما نعتقد ببطلانه من الأباطيل الواقعة لا يكون بطلانه إلا نسبياً لا حقيقياً.

بقي هنا شيء يجب التنبيه إليه وهو أنه جاء في الآية استعمال كلمة «دابة» ولكن ليس المراد ان هذا الحكم أعني «الأخذ بالناصية» خاص بالمخلوقات الحية. كلا! بل الله تعالى آخذ بناصية كل شيء حتى القشة والمدرة. وانما عبَّر في الآية بالدابة لأنه في مقام بيان أحوال المخلوقات الحية لا غير.

والمفهوم بالبداهة من هذه الآية أن لفظ الجلالة «الله» هو لفظ يرادف بمعناه الغريزة والطبيعة. إذ لا ريب أن جميع الأشياء من المخلوقات الحية وغير الحية خاضعة لحكم الطبيعة والجبلة التي هي مجبولة عليها،

فالطبيعة الجبلية آخذة بناصية كل شيء. وقد جاء لفظ الجلالة مرادفاً للطبيعة في كثير من الآيات القرآنية كما هو ظاهر لكل من قرأ القرآن بتأمل وتدبّر.

(الحق والباطل)

اذا انسلخنا من انفسنا واذ جئنا في حقيقة الوجود الكلي المطلق اللانهائي علمنا ان الحق كلمة تراوف الممكن وان الباطل كلمة تراوف المحال. وعندئذ قلنا: كل ما وقع في هذا الوجود فهو حق اذ لو كان باطلا لما وقع. وكل ما لم يقع فهو باطل لانه مستحيل الوقوع فلو كان حقا لما امتنع وقوعه.

فالحق هو الممكن والباطل هو المحال. واذا ثبتت حقية كل ما وقع في عالم الكون والفساد انتفى الحسن والقبح من الوجود الكلي المطلق اللانهائي. وتبين لنا ان ليس في الدنيا باطل. وهذا هو الذي تقتضيه الآية الواردة في سورة هود من القرآن: «وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم».

اذ لا ريب ان الله الذي هو على صراط مستقيم اذا كان هو الآخذ بناصية كل دابة فكان هو القائد لها في جميع احوالها كانت كل دابة في جميع احوالها على صراط مستقيم ايضا بحكم الضرورة. وهذا هو معنى ما قلنا من انه ليس في الدنيا باطل. وان الباطل هو المحال الممتنع الوقوع. فاذا قلنا لشيء واقع بانه باطل كان معنى ذلك انه باطل بالنسبة الينا لانه مخالف لما نريده ونألفه لا بالنسبة الى الحقيقة المطلقة. فكل ما نعتقد ببطلانه من الاباطيل الواقعة

في عالم الأدب

أرسل إليّ من خارج العراق كتاب يسألني مرسله: هل تؤمن بزعامة مصر الأدبية للشرق العربي؟ فكتبت اليه الجواب الآتي:

إن الزعامة في العلم والأدب لا يمكن أن تكون لقطر على آخر أو لبلد على بلاد أخرى إلّا اذا كان للأول على الثاني زعامة في السياسة أيضاً. ذلك لأن القطر أو البلد الذي له زعامة سياسية يكون مركزاً يأويَ إليه من الأطراف كل ذي علم وأدب فيجتمع فيه النبوغ العلمي والأدبي وبذلك يتسنّى له أن يقود ما يتبعه من البلاد الى ما شاء من علم وأدب. وتلك هي الزعامة التي تحصل له في العلم والأدب مع زعامته السياسية بحكم الضرورة.

وليست مصر كذلك بالنسبة الى الشرق العربي حتى تكون لها الزعامة الأدبية عليه. نعم! لا ينكر أن مصر قد سبقت الشرق العربي بنهضتها الأخيرة في العلم والأدب سبقاً زمانياً ولكنها لم تنشر فيه ثقافة ولم تعبّد فيه للعلم والأدب طريقا. وإنما أرسلت إليه بقصد التجارة كتباً وجرائد ومجلات. وبالإجمال أرسلت إليه مطبوعات. ولا ينكر أن الشرق العربي انتفع بمطبوعاتها ولكن ذلك لا يجعل لها عليه زعامة في العلم ولا في الأدب.

فإن جاز أن يجعل ذلك لها زعامة أدبية على الشرق العربي جاز أن تشاركها في تلك الزعامة بيروت لأنها أرسلت بقصد التجارة أيضاً إلى الشرق العربي ما أرسلته مصر من المطبوعات وإن كان ذلك بصورة مصغرة بالنسبة إلى مصر.

وأيضاً إن الزعامة الأدبية لا يمكن أن تكون إلّا نتيجة من نتائج الاستقلال الأدبي. وليس في مصر ولا في غيرها من يستطيع أن يدّعي أن مصر اليوم قد تقدّمت في الأدب إلى حيث أصبحت مستقلة بآدابها. وهل للأدب المصري اليوم طابع خاص يمتاز به عن الأدب العربي في غير مصر من بلاد العرب أو من بلاد الشرق. كلا!

وإنما مصر اليوم كغيرها من بلاد الشرق العربي لم تزل في دور التقليد

للغرب في العلم والأدب. فالحقيقة التي لا ينبغي للعاقل المفكر أن يشكّ فيها هي أن مصر اليوم كغيرها من بلاد العرب سالكة طريق التقليد في العلم والأدب تحت زعامة الغرب. خصوصاً في الأدب الروائي والمسرحي فإنها فيهما مقلّدة للغرب تقليداً أعمى لم تتحقق حتى الآن صحة موافقته للذوق العربي وللحياة الشرقية العربية. هذا بقطع النظر عن الصبغة الإسلامية الظاهرة في الحياة العربية، فإن هذه الصبغة تنبو كل النبو عن الأدب المسرحي الذي أخذت مصر اليوم تمشي فيه على آثار الغرب.

وخلاصة القول أن مصر اليوم في طور التقليد. وكل ما هناك هو أن الشوط الذي جرته مصر أبعد من الشوط الذي جراه غيرها من بلاد الشرق العربي. وليس في ذلك ما يجعل لها زعامة على غيرها.

هذا ما نقوله في الزعامة الأدبية إذا أضيفت الى قطر من الأقطار أو إلى بلد من البلاد. أما إذا أضيفت إلى فرد من الناس فمن البعيد أن يتفق الناس عليها فيه وأن يعترفوا بها له. وهذا المتنبي مثلاً قد ملأ الدنيا في زمانه وشغلها بشعره كما قالوا ومع ذلك لم يعترف له أهل زمانه بزعامته عليهم في الشعر. فالكلام في هذه الزعامة الأدبية الفردية أو الشخصية لا يأتي بنتيجة والجدال فيها لا يصل إلى نهاية. اللهم إلا إذا أيّدتها القوة فإنها حينئذ تكون كزعامة الفرد السياسية التي تدعمها القوة فيعترف بها الناس له. وقد تقتضيها المصلحة العامة أو الخاصة.

نسمع اليوم من مصر صوتاً يدعو الى التجديد في الأدب، غير أنّا نسمع جعجعة ولا نرى طحناً. فلا يأتينا أصحاب ذلك الصوت إلا بما يجعلنا نعتقد أنهم يدعون الى تقليد الأدب الغربي. فلو قال هؤلاء نحن ندعو الى التقليد لكانوا في هذا القول أصدق منهم فيما يقولونه من الدعوة الى التجديد.

اذا جاءنا الأديب بما يصوِّر لنا صور الحياة المحيطة به تصويراً موصلاً الى الغاية التي ينزع إليها في أدبه جاز أن نقول عنه بأنه مجدد في أدبه غير مقلّد. أي أنه لا يأتيك بصورة طبق الأصل من أدب عفته الأيام ومن حياة غيرها الزمان كما يفعل المقلدون من الأدباء. أما أساليب الكلام في الأدب فلا تحدّها حدود ثابتة مستقرة غير متحولة، بل هي

تختلف باختلاف الشخصيات الأدبية. فمن ظهر في أسلوبه أثر محسوس من شخصيته الأدبية بحيث يمتاز به عن غيره من الأساليب، جاز أن نقول عنه بأنه مجدد في أسلوبه غير مقلّد. أي انك لا تحس من أسلوبه بشخصيـة بعيدة عنه تمثّل نفساً غير نفسه وحياة غير حياته، كما هو الحال في أساليب المقلدين.

وسواء أكان التجدد هو هذا أم غيره يجب على دعاة التجدد أن يبيِّنوا لنا ماذا يريدون به، فان الظاهر من كلامهم هو أنهم يريدون منا باسم التجدد أن نقفو أثر الأدب الغربي، أي أن نقلّد في أدبنا أدباء الغرب.

على أن الشرق العربي كله اليوم ساعٍ الى هذا التقليد، لا في الأدب وحده، بل في كل شيء من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر. وهل تقليد الأمم بعضها بعضا في الأدب جائز؟! هذا سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه بنعم. لأن أدب كل أمة ليس إلّا عبارة عن حالتها الروحية المتكونة من العقل والفطنة والشعور والعاطفة والأخلاق والعادات والدين والخرافات والبيئة والتاريخ. وهذه كلها أمور تختلف اختلافاً كلياً باختلاف الأمم. وقد تختلف روحيات الأمم بنسبة بعضها الى بعض حتى يبلغ اختلافها التناقض. فلا يحسن من أمة أن تقلّد في أدبها أمة أخرى إلّا مقدار ما يحسن رجل يمشي على الأرض أن يقلّد بهلواناً يلعب على الحبل. وبقدر ما يكون هذا التقليد مضحكاً ضحكاً سخرياً يكون تقليد أمة في الأدب أمة أخرى مضحكاً أيضاً.

ولا تنس أن الأدب يشمل بمعناه العام الأغاني والمراقص والمناجات أيضاً، إذ لا ريب أن الشعر هو أهم ركني الأدب. والشعر بأوزانه وقوافيه لم يكن إلّا للغناء والرقص، أو للرثاء والنواح. فالتقليد فيه أقبح والخروج به عن الطبع أشوه. وخلاصة القول أن التقليد في الأدب إذا بلغ غايته، معاذ الله، مسخ الأمّة مسخاً، وقلب كيانها القومي رأساً على عقب.

وليس معنى هذا أن الأدب العربي يجب أن يبقى على ما كان عليه في القـديم إلى يوم القيـامـة. بل أدب الأمة العربية مثلها خاضع لقانون النشوء والارتقاء، فكلما ارتقت ارتقى معها وكيفما تطورت تطور معها.

وإنما معناه ان التقليد لا يحسن أن يكون من الأمور التي يتطور بها الأدب عند الأمم.

في عالم الادب

ارسل الي من خارج العراق كتاب يسألني مسألة : هل تؤمن بزعامة مصر الادبية للشرق العربي ؟ فكتبت اليه الجواب الآتي :

ان الزعامة في العلم والادب لا يمكن ان تكون لقطر على آخر او لبلد على بلد اخرى الا اذا كان للأول على الثاني زعامة في السياسة ايضا . ذلك لان القطر او البلد الذي له زعامة سياسية يكون مركزا يأوي اليه من الاطراف كل ذي علم وادب فيجتمع فيه النبوغ العلمي والادبي وبذلك يتسنى له ان يقود ما يتبعه من البلاد الى ما شاء من علم وأدب . وتلك هي الزعامة التي تحصل له في العلم والادب مع زعامته السياسية بحكم الضرورة .

وليست مصر كذلك بالنسبة الى الشرق العربي حتى تكون لها الزعامة الادبية عليه . نعم ! لا ينكر ان مصر قد سبقت الشرق العربي بزهضتها الاخيرة في العلم والادب سبقا زمانيا ولكنها لم تنشر فيه ثقافة ولم تمهد فيه للعلم والادب طريقا . وانما ارسلت اليه بقصد التجارة كتبا وجرائد ومجلات . وبالوجمال ارسلت اليه مطبوعات . ولا ينكر ان الشرق العربي انتفع بمطبوعاتها ولكن ذلك لا يجعل لها عليه زعامة في العلم ولا في الادب .

الشعر والحقيقة

ليس الشعر بخيال محض كما يتوهمون، بل الخيال طريق واحد من طرقه الكثيرة، أو ثوب واحد من ثيابه العديدة. وإذا أرادت الحقيقة أن تطلّ من مشارف المنطق الحر فلا تجد لها مشرفاً أسمى ولا أبهى من بيت من الشعر. وإذا أردت على ذلك شاهداً فانشد قول شاعر البشر:

وأشرف من ترى في الناس قدراً ... يعيش الدهرَ عبد فم وفرج

أو قوله:

وحب العيش أعبد كل حر ... وعلّم ساغبا أكل المرار

أو قوله:

قد تمادت على الفساد البرايا ... واستوت في الضلالة الأديان

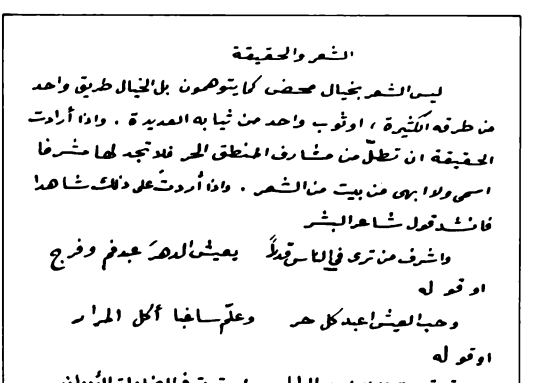
الشعر والحقيقة

ليس الشعر بخيال محض كما يتوهمون بل الخيال طريق واحد من طرقه الكثيرة ، او ثوب واحد من ثيابه العديدة . واذا أرادت الحقيقة ان تطلّ من مشارف المنطق الحر فلا تجد لها مشرفا اسمى ولا ابهى من بيت من الشعر . واذا أردت على ذلك شاهدا فانشد قول شاعر البشر

واشرف من ترى في الناس قدراً ... يعيش الدهرَ عبد فم وفرج

او قوله

وحب العيش أعبد كل حر ... وعلّم ساغبا أكل المرار

او قوله

قد تمادت على الفساد البرايا ... واستوت في الضلالة الأديان

التصفيق

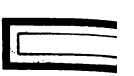

كان العرب في القديم إذا رأوا أمراً يكرهونه أو سمعوا كلاماً ينكرونه صفقوا استنكاراً له وتعجباً منه. كما يدلّ على ذلك ما فعله كفّار قريش لما قال لهم رسـول الله وهم عنـد عمه أبي طالب: «أعطوني كلمة واحدة تملكـون بها العرب وتدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمـات. فقـال رسول الله: «تقولون لا إله إلّا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه». فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرك لعجب.

وقد صار الناس اليوم يستعملون التصفيق للاستحسان وللتعظيم والإجلال، كما يفعلون ذلك اليوم في مجتمعاتهم اذا استحسنوا كلاماً سمعوه أو استقبلوا رجلاً عظيماً أجلّوه واحترموه. إلّا أن هذه العادة فيهم حديثة، ولم يكونوا يعرفونها من قبل وإنما انتقلت إليهم من أهل الغرب. وهم وان كانوا قد تعودوها إلّا أنهم لم يزالوا يخطئون مواقع استعمالها أحياناً فلا يصيبون الغرض المطلوب منها كما يصيبه أهل الغرب. حتى ان التصفيق الذي نراه ونسمعه في مجتمعاتهم وحفلاتهم يكون مصدره في الأكثر من رجل واحد إذا صفّق تبعه الجمهور بالتصفيق بلا شعور، ومن دون أن يفتكروا أن هناك ما يستحق التصفيق أو لا.

ولقد كثُر التصفيق عندنا على هذا النحو حتى انه لو سألني سائل علام يدلّ عندك تصفيق الناس لمن ينشدون الشعر في الحفلات؟ لقلت بلا تردد: على سخـافة الشعر الذي صفّقوا له وذلك لأني حضرت مرة إحـدى حفـلاتهم فقام فيها شاعر وأنشد قصيدة. واستمر في إنشاده والقوم ساكتون مستمعون. وقد مرّت أبيات تستحق شيئاً من التصفيق إلّا أنهم لم يصفّقوا. فلما أنشد قوله:

ان يهدم العربي حوض جدوده غضبت عليه يعرب ونزار

عجّ تصفيقهم فشق الهواء حتى بلغ عنان السماء. وما أدري هل أخبرهم هذا الشـاعر بأمر عجيب لا يعلمونه إذ قال لهم من هدم بيت جدوده غضبت عليه جدوده.

التلقيب بالاضافة الى الدين

لم نجد في أسماء الأولين من المسلمين اسماً مضافاً الى الدين كشمس الدين وبدر الدين وفخر الدين ونحو ذلك. فكنت أسأل في أي عصر من تاريخ الإسلام حدثت هذه التسمية. ثم رأيت في تاريخ الخلفاء للسيوطي ما نصّه: «وفي سنة ست وسبعين وأربعمائة ولّى المقتدي بأمر الله (الخليفة العباسي) أبا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ولقّبه ظهير الدين وأظن ذلك أول حدوث التلقيب بالإضافة الى الدين».

أقول يجب أن نعتبر ذلك مبدأ لظهور الرياء الديني في الأسماء، لأن مظاهر الرياء الديني كثيرة إلّا انه لم يظهر في الأسماء إلّا في هذا العهد. ومما يدعو إلى الأسف أن ذلك خاص بالمسلمين لأنّا لم نجد في جميع أهل الأديان اسماً مضافاً الى الدين سوى المسلمين. ولا ريب أن إثم هذا النوع من الرياء الديني على المقتدي بأمر الله الذي أحدثه. ورحم الله أبا العلاء المعرّي القائل:

ارائيك فليغفر لي الله زلّتي فديني ودين العالمين رياء

ابراهيم واسماعيل

لم نجد في العرب الأولين في عصر الجاهلية من تسمّى باسم ابراهيم ولا اسماعيل. حتى ولا في العرب المسلمين الذين أسلموا في عهد رسول الله. وإنما وقعت التسمية بهذين الاسمين عندهم بعد صدر الإسلام القائل بأبوة ابراهيم واسماعيل للعرب العدنانية والذي ينسب بناء الكعبة التي هي بيت أصنام العرب الجاهليين الى ابراهيم.

ولا ريب أن عدم وقوع التسمية بهذين الاسمين في العرب الأولين يدل على أنهم كانوا لا يعرفون أبوّة ابراهيم واسماعيل لهم. وإلّا فمن البعيد أن لا يتسمّوا بهما وهم يعلمون أن جدّهم الأعلى ابراهيم أو اسماعيل.

والذي نراه أن أبوّة ابراهيم للعرب ما هي إلّا دعوى ادّعاها قصي ليتوصّل بها إلى أخذ ولاية البيت من خزاعة ونقلها الى قريش. وقد

أوضحنا ذلك وشرحناه في كتابنا «الشخصية المحمدية» عند الكلام على أبوّة ابراهيم للعرب، فلا حاجة الى إعادة ذكره هنا.

طه ويس

مما يدل على أن المسلمين في هذا العصر هم في خبط وخلط من أمورهم الدينية تسميتهم أبناءهم بطٰـــه ويٰـــس. وقد حملهم على هذه التسمية المضحكة توهمهم أن طـــه ويـــس هما من أسماء محمد رسول الله.

والظاهـــر أن وهمهم هذا ناشىء من وقـوع الخـطاب في أول سورة طٰـــه موجهاً الى رسول الله في قوله تعالى «طـــه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» فتوهموا أن (طـــه) منادى، أي: يا طـــه. ولما كان المخاطَب بعد هذا النداء هو رسول الله ظنّوا أن معناه يا محمد، وأن طـــه اسم من أسمائه. وهذا لعمر الله جهلٌ بالقرآن فاضح وعَمَهٌ في البصائر طامس.

من المعلوم أن طـــه ويـــس من فواتح السور القرآنية مثل حم وطس والم وغيرها من حروف الهجاء المفتتح بها بعض سور القرآن. وقد تكلّم علماء التفسير عن هذه الحروف واختلفوا في المراد منها إلى أقوال شتى ولم يقل أحد منهم أن طـــه ويـــس هما من أسماء النبي محمد. كما أن علمـاء السيرة النبوية تكلموا عن أسماء رسول الله وعددوها وشرحوها وأطالوا الكـلام فيهـا ولم يذكروا فيها طـــه ولا يـــس حتى جاء عوام المسلمين في هذا العصر فتوهموا أنهما من أسماء رسول الله كما يُفهم ذلك من قولهم في أغانيهم الدينية: «حبكم يا آل طـــه...»

أما عهد هذه التسمية المضحكة فليس ببعيد. ولا أظنه يرجع إلى أكثر من عصر أو عصرين. لأني لم أصادف في كتب الأولين المؤلفة في سوالف العصور الاسلامية ذكر رجال تسمّوا بهذين الإسمين. لا في كتب الأدب ولا في كتب التاريخ. وإذا حسنت التسمية بفواتح السور القرآنية عند عامة المسلمين فلماذا اقتصروا منها على التسمية بطـــه ويـــس. ولماذا لم يتسموا بحم وطس وغيرهما من فواتح السُّوَر الأخرى. غير أني أعرف رجـلاً من المعلمين في بغداد اسمه يحيى قد لقب نفسه بإحدى فواتح السور (ق) فالناس يعرفونه باســـم يحيى ق. وهذا من المضحكات. وما

يدريك لعلنا سنسمع باســـم ابراهيم ص وباســـم اسمعيل ن. ولله في خلقه شؤون.

التلقيب بالاضافة الى الدين

لم نجد في اسماء الاولين من المسلمين اسما مضافا الى الدين كشمس الدين وبدر الدين وفخر الدين ونحو ذلك. فكنت اسأل في اي عصر من تاريخ الاسلام حدثت هذه التسمية. ثم رأيت في تاريخ الخلفاء للسيوطي ما نصه: «وفي سنة ست وسبعين واربعمائة ولي المقتدي بامر الله (الخليفة العباسي) ابا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ولقبه ظهير الدين واظن ذلك أول حدوث التلقيب بالاضافة الى الدين» اهـ.

اقول يجب ان نعتبر ذلك مبدأ لظهور الرياء الديني في الاسماء لان مظاهر الرياء الديني كثيرة الا انه لم يظهر في الاسماء الا في هذا العهد. ومما يدعو الى الاسف ان ذلك خاص بالمسلمين لاننا لم نجد في جميع أهل الأديان اسما مضافا الى الدين سوى المسلمين. ولا ريب ان اثم هذا النوع من الرياء الديني على المقتدي بامر الله الذي احدثه. ورحم الله ابا العلاء والمعري القائل

أرائيك فليغفر لي الله زلتي فديني ودين العالمين رياء

إله بني اسرائيل

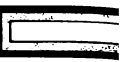

لو قيل لي أترضى أن يكون إله بني اسرائيل رباً لك؟ لقلت بلا تردد: لا! ذلك لأن إله بني اسرائيل المسمى عندهم (يهوا) إنما هو إله ورب لهم وحدهم دون غيرهم من البشر. فليس هو إلهاً عاماً لجميع الكائنات. ولا ريب أن رباً كهذا لا تكون قدرته عامة كما لا تكون مشيئته عامة أيضاً. فهو رب عاجز غير مطلق القدرة ولا مطلق الارادة. فكيف أرضاه لي رباً.

ثم ان (يهوا) ليس رباً لبني اسرائيل في كل مكان، بل هو ربهم في الأرض الموعودة فحسب، كما يعتقدون. وليس لهم أن يعبدوه إلا في الأرض الموعودة، وعلى ترابها فقط. ولذا كان من دينهم أن أحدهم اذا فارق الأرض الموعودة حمل معه شيئاً من ترابها لكي يعبد ربه عليه في غيرها.

ومن هنا وافقت الشيعة اليهود في صلاتهم على تربة الحسين فهم يحملون معهم هذه التربة أينما ذهبوا فيصلون عليها ويعظمونها بتقبيلها ووضعها على رؤوسهم. وأما قول بعضهم في تعليل صلاتهم على التربة «ان الصلاة لا تجوز الّا على وجه الأرض وأديمها» فكذب وتمويه، أولاً لا يقوم لهم على ذلك دليل مقبول، اذ ليس في الآيات القرآنية ولا في الأحاديث النبوية ولا فيما جرى به العمل في صلاة النبي وأصحابه والتابعين من بعده ما يدل على أن الصلاة لا تجوز الّا على وجه الأرض وأديمها. بل هناك ما يدل على خلافه فان النبي كان يصلي بنعليه فكانت قدماه لا تمسان أديم الأرض وهو قائم في صلاته، لأن نعليه تحولان دون ذلك. والقيام ركن من أهم أركان الصلاة، وهو أفضل من السجود لقوله تعالى قوموا لله قانتين ولأن ذكره القرآن الذي هو أفضل الأذكار.

ثانياً أن الشيعة يضعون التربة أمامهم ويسجدون عليها في صلاتهم وان كانوا يصلّون في العراء على وجه الأرض وأديمها. كما شاهدت ذلك منهم مراراً.

ثالثاً لو كانت الصلاة لا تجوز الّا على وجه الأرض وأديمها، كما يقولون، لجاز للمصلّي أن يأخذ شيئاً من تراب أيّة أرض شاء فيصلي

عليه. وليس الأمر كذلك عندهم. وإنما يصلون على التربة المعمولة من تربة الحسين ليس إلا. على أن الذين يصنعون هذه الترب يكذبون على الناس في دعوى انهم لم يصنعوها الاّ من تربة الحسين، ومهما يكن، فإن هذه التربة تذكرنا بالعهد الجاهلي يوم كان أحدهم يعمد الى حجر فيأخذه ليعبده ثم اذا رأى أحسن منه أخذه وترك الأول. فسبحان من أرسل محمداً لنبذ الأصنام ثم جعل امته يتقربون بها الى الله.

آله بني اسرائيل

لو قيل لي أترضى ان يكون آله بني اسرائيل رباً لك ؟ لقلت بلا تردد : لا ! ذلك لأن آله بني اسرائيل الذي عنهم (يهوا) انما هو آله ورب لهم وحدهم دون غيرهم من البشر . فليس هو آلهاً عاما لجميع الكائنات . ولا ريب ان ربا كهذا لا تكون قدرته عامة كما لا تكون مشيئته عامة ايضا . فهو رب عاجز غير مطلق القدرة ولا مطلق الارادة . فكيف ارضاه لي رباً .

ثم ان (يهوا) ليس ربا لبني اسرائيل في كل مكان بل هو ربهم في الارض الموعودة فحسب، كما يعتقدون . وليس لهم ان يعبدوه الا في الارض الموعودة وعلى ترابها فقط . ولذا كان من دينهم ان احدهم اذا فارق الارض الموعودة حمل معه شيئا من ترابها لكي يعبد ربه عليه في غيرها .

ومن هنا وافقت الشيعة اليهود في حملهم على تربة الحسين فهم يحملون معهم هذه التربة ايضا ذهبوا فيصلون عليها ويعظمونها بتقبيلها ووضعها على رؤوسهم . واما قول بعضهم في تعليل حملهم على التربة « ان الصلاة لا تجوز الاّ على وجه الارض واديمها » فكذب وتمويه . اولاً لا يقوم لهم على ذلك دليل مقبول، اذ ليس

الأغاني

ان الأغاني بغاياتها المقصودة تناسب المعنويات أكثر من الماديات فهي بأنغامها المطربة لغة تتخاطب بها الأرواح وتتفاهم بها القلوب. ولما كانت في انـدفـاعـاتها بعيدة عن الماديات، كانت أشد تأثيراً في نفوس سامعيها كلما ابتعدوا عند سماعها عن الماديات، وكلما كانوا الى الحالات الروحية أقرب منهم الى غيرها.

ان المـوسيقى التي تفيض علينـا الحانها من أفواه الاجراء أو من أكفهم تخسر نصف قيمتها المعنوية بسبب أنها لم تندفع إلينا من منبعها إلا بالماديات. لأنها مأجورة، ولأنها تسعى إلينا بلا روح أو بروح مفتعلة غير طبيعية. وقد قالوا ليس المستأجرة كالثكلى.

ومما يدعو المجتمع الى الأسف أن الأغاني التي يسمعها الجمهور ويصغي إليها كلها مأجورة. وما ذلك إلا لأن الحرية الشخصية في جميع المجتمعات لم تزل محجورة. فالموسيقى الحرة أو الغناء الحر المندفع من العاطفة النفسية المبتعد عن الماديات لا يكاد يظهر للجمهور. وما وجوده إلّا من قبيل وجود الخبايا في الزوايا.

فمن أتيـح له أن يسمع تحت أستار الظلام في احدى غرف الحب والغرام غناء من فم مغرم أو مغرمة مندفعاً عن قلب مثقل بالغرام، حاملا في نغمـاتـه روح مغنيه، خالياً من كل صنعة وكلفة، فقد سمع مناجاة الأرواح وعلم كيف تكون تلك المناجات في غناء لا إرتباط له بالماديات.

الموسيقى الآلية والصوتية

هنـاك موسيقى آليـة وموسيقى صوتية. فالآلية هي ما نسمعه من الفنانين بضربهم على المعازف كالعود والطنبور والقانون والكمان وغيرها، أو بنفخهم في الأنابيب كالبوق والمزمار والناي والسرناي وغيرها.

والصوتية هي ما نسمعه من أفواه المغنين من الأصوات في أغانيهم التي يتغنون بألحانها وأنغامها. والموسيقيان الآلية والصوتية مَتلازمتان كل واحـدة منهمـا متممـة للأخـرى بحيث لا يتم كمـال الغنـاء إلا باجتمـاعهما، ومتى انفردت احداهما عن الأخرى كانت ناقصة. وإذا اقتـرن بهما الرقص الذي هو أدنى غاياتهما فقد بلغتا منتهى الكمال الفني الذي تظهر فيه النفس الإنسانية بأبهى وأسنى مظاهر الشعور السـامي في الحياة الروحية. ومن هذه الناحية يصح إعتبارهما ميزاناً يوزن به ما للأمم من الشعور الراقي والذوق السليم في الحياة الروحية.

وقد قيل لي ما تقول في المغني الشهير محمد عبد الوهاب فقلت فنان ولكن كل غناء خرج من بين السبالين فبارد. وقيل فما تقول في أم كلثوم فقلت: أم كلثوم في فنون الأغاني امة وحدها بهذا الزمان

وقيل ما تقول في الموسيقى العربية في عصرنا هذا، فقلت إن الموسيقى الآلية في مصر أرقى من الموسيقى الصوتية رغم وجود أم كلثوم في مصر. ثم تأتي بعدها في المرتبة الثانية الموسيقى الآلية في سورية فهي أيضاً أرقى من المـوسيقى الصـوتية هناك، ثم تأتي بعدها في المرتبة الثالثة الموسيقى الآلية في العراق فهي أيضاً أرقى من الموسيقى الصوتية.

فالموسيقى الصوتية في جميع الأقطار العربية متأخرة في عصرنا هذا عن المـوسيقى الآليـة. أما هذه الأغاني التي نسمعها اليوم في العراق فحـديثها تافه بقدر ما قديمها رائع. وأحسن ما سمعته من الموسيقى الصوتية (بعد استثناء أم كلثوم طبعاً) الأغاني التونسية التي سمعتها من المحطة القومية في تونس. فانها بلهجتها المطبوعة العربية الخالصة تمثل روحاً عربية ناصعة وهي مع ذلك جد رائعة. وهكذا يجب أن تمثل الموسيقى لسامعها روح أمتها بكل معانيها المعلومة.

الموت والحياة

هما وليدان شقيقان لأب واحد وأم واحدة.

أما الحياة فنعمة من الله سابغة. وهي أمُّ العجائب كلها. وأعجب ما فيها أن صاحبها يتحمل لأجلها من المشاق ما يطاق وما لا يطاق. وانها محجوبة وهي مكشوفة ومحبوبة وهي غير معروفة. إذا وزنت آلامها بلذاتها رجحت الأولى وخفت الثانية غير أن صاحبها يفتدي أقل لذة منها باحتمال ألف من آلامها.

وأما الموت فهو رحمة من الله واسعة. من شأنه أنه يبتذل المصون ولا تنفع فيه الرقى ولا الرَقون. ومن غريب أمره أنه يستمر وهو غير مذوق ويهاب وهو غير مرموق. وكل ما فيه إخماد آلام وأخذ الناس بالأوهام، فهو أبو الخرافات البشرية كلها.

وأصح ما يقال في هذين الشقيقين أنهما توأمان ولدا في آن واحد من بطن واحدة. وهما متلازمان تلازماً كونياً بحيث يؤدي أحدهما الى الآخر. فلذا كان من عجيب أمرهما أن من حرص على الحياة عاجله الموت، ومن حرص على الموت وهبتْ له الحياة . فسبحان مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي.

في معرض اللغة أدعاية أم دعاوة

كثر استعمال كلمة «دعاية» في أيامنا فتداولتها الألسن والأقلام. وهي تستعمل في كلامهم بمعنى بث الدعوة ونشرها بين الناس بقصد استمالتهم الى أمر من الأمور أو تنفيرهم منه. غير أن بعض المتنطسين في اللغة من الكتاب أنكر هذه الكلمة وأخذ يستعمل مكانها «دعاوة».

وأظن أن الذي حملهم على إنكارها أمران. أحدهما عدم سماعها فلذا لم تذكر في معاجم اللغة. والثاني مخالفتها للقياس لأنها من دعا يدعو الواوي فاستعمالها بالياء مخالف للقياس. ولذا صاروا يستعملون بدلها (دعاوة) بفتح الدال أو بكسرها.

اما أنا فأرى استعمال دعاية هو الصواب لا دعاوة. أولاً لأن الدعاوة اسم من الادعاء كالدعوى. فمعناها غير المعنى المراد بالدعاية. ذلك لأن المراد بها كما قلنا آنفاً هو نشر الدعوة في أمر من الأمور لاستمالة الناس اليه أو تنفيرهم منه. ومعنى الادعاء لا يناسب هذا.

ثانياً ان كلمة دعاية وردت في الكتاب النبوي الذي أرسل الى قيصر. إذ جاء فيه «... أمّا بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام» ولا ريب أن رسول الله أفصح من نطق بالضاد. فدعوى عدم السماع فيها غير صحيحة.

فان قلت لماذا أغفلها علماء اللغة فلم يذكروها في معاجمهم قلت أولا أن هذه المعاجم التي بين أيدينا لم تثبت جميع مفردات اللغة بل فاتها منها شيء كثير. ثانياً يجوز أنهم أغفلوها لأنهم لم يسمعوها فيما بلغهم من كلام العرب الذي نقلته اليهم الرواة. ولكن عدم السماع لا يسلتزم عدم الوقوع إذ يجوز أن العرب قد فاهت بكلمة فات الرواة سماعها ففاتهم نقلها وذكرها. كما وقع في كلمة دعاية فان الرسول قد استعملها في كتابه الى قيصر وقد فاتهم سماعها فلذا لم تذكر في معاجم اللغة.

واما مخالفتها للقياس فان في اللغة شواذ كثيرة وهذه منها. ولا يعترض علينا بأن الشاذ غير فصيح، لأن فصاحة الكلمة إنما تثبت باستعمال الفصحاء إياها وقد استعمل كلمة (دعاية) سيد الفصحاء.

أيضاً

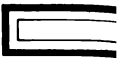

كان ولي الدين يكن أحد مشاهير الكتاب في مصر يكره كلمة (أيضاً) أشد الكراهية ويؤاخذ بها الذين يستعملونها في كلامهم من الكتاب وينتقد عليهم استعمالها. وكنت أنا أظن أن استعمالها في الكلام ليس من الفصيح وإنما هو مولد محدث. غير اني كنت أرى الضرورة قاضية باستعمالها لمسيس الحاجة إليها في الكلام. لأنها تفيد معنى (دخى) في اللغة التركية ومعنى (كمان) في العامية السورية ومعنى (هم) في العامية العراقية وليس في العربية الفصحى ما يفيد هذا المعنى سواها. فلا بد من استعمالها وان لم تكن من الفصيح حتى وقفت على ورودها في الحديث النبوي. ففي الجزء (٣) والصفحة (٢١) من السيرة الحلبية جاء استعمال كلمة (أيضاً) في كلامه (صلعم). وذلك أن سلمة بن الأكوع بايع يوم الحديبية ثلاث مرات. أول الناس ووسطهم وآخر الناس. وكان ذلك بأمر النبي له في الثانية والثالثة. بعد قول سلمة له قد بايعت يا رسول الله فقال له رسول الله وأيضاً. لعلم رسول الله بشجاعته وشهرته في الثبات. فبهذا علمت انها من الفصيح القديم لا من المولد المحدث.

ايضا

كان ولي الدين يكن احد مشاهير الكتاب في مصر يكره كلمة (ايضا) اشد الكراهية ويؤاخذ بها الذين يستعملونها في كلامهم من الكتاب وينتقد عليهم استعمالها. وكنت انا اظن ان استعمالها في الكلام ليس من الفصيح وانما هو مولد محدث. غير اني كنت ارى الضرورة قاضية باستعمالها لمسيس الحاجة اليها في الكلام. لانها تفيد معنى (دخى) في اللغة التركية ومعنى (كمان) في العامية السورية ومعنى (هم) في العامية العراقية وليس في العربية الفصحى ما يفيد هذا المعنى سواها. فلابد من

كتاب القبض

جاء في الجزء (١٢) والصفحة (١١١) من الأغاني ما نصه:

«... وكتبت اقتضيه فبعث إليّ أن أكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء. فاستترت وهو في منزل صديق لي. فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه الى الواثق فبعث إلي بالمال وأخذ كتابي بالقبض...».

ان المتكلم في هذه العبارة هو صالح بن عبد الوهاب صاحب الجارية قلم المنسوبة إليه المشهورة بقلم الصالحية. والضمير في «اقتضيه» لابن الزيات وزير الواثق. والضمير في قوله «قبضاً بها» عائد الى الخمسة آلاف دينار التي اشترى الوزير بها الجارية منه وقد مر ذكرها في العبارة.

فمن هذا نفهم ان الصواب فيما يستعمله الناس والكتاب في زماننا من قولهم (كتب وصلا بكذا) مثلا هو أن يقال كتب قبضاً بكذا وان يقال لهذا الكتاب كتاب القبض لا كتاب الوصل كما يقولون.

كتاب القبض

جاء في الجزء (١٢) والصفحة (١١١) من الأغاني ما نصه:

« ... وكتبت اقتضيه فبعث إليّ أن أكتب لي قبضاً بها وخذها بعد جمعة. فكرهت أن أكتب قبضاً بها فلا يحصل لي شيء. فاستترت وهو في منزل صديق لي. فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه الى الواثق فبعث إلي بالمال وأخذ كتابي بالقبض ... ».

ان المتكلم في هذه العبارة هو صالح بن عبد الوهاب صاحب الجارية قلم المنسوبة اليه المشهورة بقلم الصالحية. والضمير في «اقتضيه» لابن الزيات وزير الواثق. والضمير في قوله «قبضاً بها» عائد الى الخمسة آلاف دينار التي اشترى الوزير بها الجارية منه وقد مر ذكرها في العبارة.

الأذان عند المسلمين

كان المسلمون قبل الهجرة يصلّون في مكة بلا أذان. لأنهم كانوا مستضعفين غير أحرار في عبادتهم. فلما هاجروا الى المدينة وبنى رسول الله مسجده فيها وصاروا يجتمعون فيه للصلاة مع رسول الله جماعة مست الحاجة الى إعلامهم بحينونة وقت الصلاة ليحضروا لأدائها.

فاستشار رسول الله أصحابه في هذا الأمر فأشاروا بأمور ما إرتضاها. وكادوا في النهاية أن يتخذوا الناقوس واسطة للاعلام كما تفعل النصارى. وبينما هم على هذا إذ رأى عبد الله بن زيد الأنصاري في منامه رجلاً لقنه صيغة الأذان المعلومة. فأتى رسول الله وقص عليه ما رأى. فقال رسول الله انها لرؤيا حق ان شاء الله. ثم قال لعبد الله قم مع بلال فألق عليه ما رأيت وليؤذن به فانه اندى (وفي رواية) أمد منك صوتاً.

أما صيغة الأذان التي رآها عبد الله فهي سبع كلمات كل واحدة منها جملة مستقلة. وهذه هي (١) الله أكبر (٢) أشهد أن لا إله إلا الله (٣) أشهد أن محمداً رسول الله (٤) حيى على الصلاة (٥) حيى على الفلاح (٦) الله أكبر (٧) لا إله إلا الله.

أما كيفية أداء هذه الكلمات أو هذه الجمل السبع فإنها (على ما رآه عبد الله في المنام أيضاً) تكرار كل واحدة منها مرتين إلا الأخيرة (لا إله إلا الله) فإنها تقال مرة واحدة. هذا بالنظر الى ما عليه أهل المدينة. وأما بالنظر الى ما عليه غيرهم فتكرر الأولى (الله أكبر) أربع مرات. وما بعدها مرتين. إلا الأخيرة فإنها تقال مرة واحدة فقط.

ثم ان بلالا زاد في أذان الفجر بعد الحيصلتين (الصلاة خير من النوم) يقولها مرتين. فأقرّ النبي هذه الزيادة لما فيها من تنشيط الكسلان وحث النائم على ترك النوم لأجل الصلاة. فهذا هو الأذان الذي أثبته حديث عبد الله بن زيد بإجماع الأمة لا يعرف بينهم خلاف. واستمر العمل به عند المسلمين في حياة رسول الله وبعد وفاته.

ما زيد في الأذان

ولكن جاءت بعد ذلك الشيعة فزادوا فيه بعد الحيصلتين (حيى على خير العمل) مدعين أن علي بن الحسين كان يقول ذلك في أذانه. وما أدري أي حاجة الى هذا بعد حيى على الفلاح. فان خير العمل والفلاح شيء واحد. على أن الفلاح يناسب المقام أكثر من خير العمل. لأن معناه الفوز والنجاة. وخير العمل إنما هو وسيلة من وسائل الفوز والنجاة. فخير العمل هو الصلاة نفسها التي يدعو اليها المؤذن. والفلاح غايتها ولا ريب أن ذكر الغاية في مقام الدعوة الى الصلاة أبلغ من ذكر الواسطة. ثم ان الفلاح مع كونه كلمة واحدة أوسع معنى من خير العمل المؤلف من كلمتين ففيه إيجاز أيضاً. والمقام في الأذان مقام إيجاز. فأية حاجة الى قول المؤذن حيى على خير العمل بعد قوله حيى على الفلاح. انني أشك كل الشك في أن علي بن الحسين كان يقول ذلك في أذانه كما تدعيه الشيعة. وهل هم يعتبرون علي بن الحسين مشرّعاً في الاسلام. واذا قيل أن بلالا قد زاد فيه الصلاة خير من النوم قلنا أن ذلك كان في حياة النبي وقد أقر النبي هذه الزيادة فالذي شرعها هو النبي لا بلال.

وقد رأيت في السيرة الحلبية ما يدل على أن لأبناء فارس يداً في هذه الزيادة. قال ان الشيعة كانت في دولة بني بويه تقول بعد الحيصلتين حيى على خير العمل. قال فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك. وكان ذلك في منتصف القرن الخامس للهجرة. فالظاهر أن المقصود من هذه الزيادة هو مجرد إيقاع المخالفة بين المسلمين لا غير. وقد مر أن بني بويه هم الذين كانوا أول من أمَرَ بإقامة المناحات على الحسين أيام المحرم.

التلحين في الأذان

أنكر الفقهاء قاطبة التلحين في الأذان، فقال بعضهم بتحريمه والاكثرون بكراهته. قالوا يكره في الأذان التلحين والتطريب وتفخيم الكلام والتشادق والتمطيط. قالوا ويجب الاحتراز فيه من مد ألف الله والصلاة والفلاح كما يجب الاحتراز من عدم النطق بهاء الصلاة لأن

المعنى عند عدم النطق بها يتحول الى الدعاء الى النار فإن الصلا هو الاحتراق بالنار.

وأكثر المؤذنين عندنا ان لم نقل كلهم لا ينطقون بهاء الصلاة عند الوقف عليها كما أن أكثرهم أو كلهم يقولون (الله وكبر) بتسكين هاء الجلالة وجعل ضمتها واواً وحذف همزة أكبر. أما مد ألف الله والصلاة والفلاح مداً فاحشاً فمألوف لجميع المؤذنين عندنا. وهو شيء شدد الفقهاء في اجتنابه والاحتراز منه لأنه خطأ وخروج بلهجة الكلام العربي عن نهجها السوي.

أما التلحين والتطريب في الأذان فليس المؤذنون كلهم سواء فيه، بل فيهم من لا يعرفه، وفيهم من يفتن فيه افتنانا ويبالغ كل المبالغة حتى تكاد لا تدري أمغنياً تسمع أم مؤذناً. ولا ريب ان التطريب في الأذان ان كان مكروهاً في نظر الفقهاء فهو مشوه للأذان في نظر الحقيقة. لأنه يخرج به عن غايته التعبدية المقدسة التي هي اعلام المصلين بحلول وقت الصلاة. والتطريب خارج عن هذه الغاية لا يلائمها ولا يماشيها.

البدعة الشايعة في الأذان اليوم

استمر المسلمون يؤذنون الأذان الثابت بحديث عبد الله بن زيد من غير زيادة ولا نقصان مدة ثمانية قرون. حتى قام بمصر في أواخر القرن الثامن رجل اسمه نجم الدين الطنبذي المحتسب فأمر المؤذنين بالصلاة والتسليم على النبي عقب الأذان يرفعون بذلك أصواتهم كالأذان. فصارت الصلاة على النبي جزءاً من الأذان وتتمة له. وكان ذلك في شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة هجرية. كما ذكره الإمام السيوطي في تاريخ الخلفاء. وقال هذا أول ما حدث وكان الآمر به المحتسب نجم الدين الطنبذي. والمحتسب في ذلك العهد هو بمنزلة رئيس البلدية عندنا اليوم.

وأظن أن الذي حمل هذا المحتسب على ابتداعه هذه البدعة هو جهله بحقيقة ما ورد في بعض الأحاديث النبوية من الأمر بالصلاة على النبي بعد الأذان. ولذا قال الفقهاء تسن الصلاة على النبي بعد الأذان للسامعين وللمؤذن أيضاً. ولا ريب أن الصلاة على النبي عقب الأذان

مسنـونـة، ولكن على أن يكون ذلك من السامع أو من المؤذن بصوت خافض لا يسمعه الاَّ هو. لا أن يرفع بالصلاة صوته كالأذان فيجعلها جزءاً منه فان ذلك غير مسنون بل هو بدعة وزيادة في الأذان ولو كان مسنوناً لما تركه المسلمون ثمانية قرون.

ان جهل هذا المحتسب بكيفية الصلاة المسنونة بعد الأذان هو الذي حمله على ابتداع هذه الزيادة في الأذان وإلاّ فكما يصلي السامعون على النبي بعد الأذان كذلك يصلي المؤذن أيضاً من دون أن يرفع بها صوته فيجعلها جزءاً من الأذان. فقاتل الله الجهل ما أفسده لدنيا الناس ودينهم.

لا شك أن الصلاة على النبي بعد الأذان بهذه الصورة التي ابتدعها هذا المحتسب المصري بدعة في الديانة الاسلامية وكل بدعة ضلالة كما جاء في الحديث النبوي المشهور، الا أن المتفيهقين من الفقهاء عفا الله عنهم توسَّعوا وتساهلوا فجعلوا من البدع ما هو بدعة سيئة ومنها ما هو بدعة حسنة ، فخالفوا قول رسول الله «كل بدعة ضلالة». ولذلك كثرت البدع في الاسلام وتفرقت الطرق بالمسلمين وضاع جوهر الاسلام وفقد روحه فاستمسك المسلمون منه بالقشور أكثر من اللباب.

قلنـا قبـلا ونقـول الآن أن الاســلام هو دين الوحدة كما أنه دين التوحيد. فمن الكفر في حكمه كل ما أخل بتوحيد الله ومن الكفر أيضاً كل ما أخـل بوحدة المسلمين. وهل يستريب خبير ذو فكر ونظر في أن هذه البدع الناشئة في المسلمين من اختلاف مذاهبهم هي التي مزقت وحدتهم حتى أصبحوا متفرقين متناكرين وأصبح معظمهم تحت سلطان الأجنبي يسومهم الخسف ويأخذهم بالعنف.

الأذان في الراديو

وبعد هذا كله جاء مدير الدعاية في بغداد فزاد الطينة بلة إذ صار يذيع الأذان بالراديو الذي لا تعرفه عامة الناس إلا أداة لإذاعة الأغاني والأخبار. فجعله هو آلة تستعمل في العبادات. وقد سبقت مصر العراق ببدعة اذاعة القرآن بالراديو فتبعها العراق وغيره في ذلك من دون تأمل

أو تفكير.

على أن اذاعة الأذان بالراديو أقل غرابة من اذاعة القرآن لأن الأذان إعلام بوقت العبادة فاذاعته على المسلمين بالراديو له وجه وان اغنت عنه كثرة المؤذنين وقلة المصلين في هذا الزمان.

ولو أنهم أذاعوه كأمر ديني خالياً من التكلف والتصنع لاحتملناه وان كانت صبغته الدينية تنافي ما للراديو من صبغة لهوية. ولكنهم يذيعونه على وجه من التلحين والتطريب بحيث يكاد سامعه لا يدري أمؤذناً يسمع أم مغنياً. فترى المؤذن لأجل اداء تلاحينه يمط بالكلمات مطاً بعيداً ويمد الحروف مداً خارجاً عن حده المألوف ويرجع بنغماته ترجيعاً مطرباً حتى يخرج بالأذان عن صبغته الدينية وعن غايته التعبدية التي هي عبارة عن اعلام المسلمين بحلول وقت الصلاة. وما أدري أسيأتي زمان يؤذن فيه المؤذنون على (النوط) الموسيقي الذي يضعه أساتذة فن التلحين في الموسيقى.

ان أهل الغرب في هذا الزمان أعرف منا بالموسيقى اذ تقدموا فيها علينا كما تقدموا في كل شيء. وهم مع ذلك لا يضربون نواقيسهم بتلاحين مطربة اذا ضربوها في كنائسهم. لأن الموسيقى شيء والعبادة شيء آخر. فلا تخلط هذي بتلك. وليس من الحكمة خلط الملاهي بالعبادات. فان بينهما بوناً بعيداً جداً. لأن العبادة ليست إلا تلبساً بالخضوع والخشوع أمام المعبود. والملاهي لا تكون إلّا لأجل الاندفاع بتهيج العواطف النفسانية الى الطرب والسرور. فبينهما من البعد ما بين الطيش والرزانة أو ما بين الخفة والوقار.

فان قيل أن أهل الغرب يصلون على عزف البيان في كنائسهم قلنا ان أهل الغرب لا يجوز لنا أن نتخذهم قدوة في أمور الدين بل يجب أن نخالفهم في ذلك. ألا ترى أن رسول الله لما استشار أصحابه في الأذان ذكروا له بوق يهود فأباه وقال ذلك من أمر اليهود وذكروا له الناقوس فقال ذلك من أمر النصارى. على أن أهل الغرب قد تفننوا في الموسيقى حتى أوجدوا منها فناً محزناً يستعملونه في المآتم والأحزان ومن هذا القبيل ضربهم بمعزف البيان في صلواتهم. فالموسيقى التي يستعملونها في

كنائسهم خارجة عن حدود الملاهي.

ولو أن المسلمين عند سماعهم هذا المؤذن المطرب هرعوا الى مساجدهم لأداء الصلاة لهان الخطب. ولكنك ترى النوادي والمقاهي والمجتمعات العامة غاصة بالناس من المسلمين والمؤذن المطرب يرجع تطريبه بالراديو وهو لا يتم أذانه في أقل من ربع ساعة وعندما يفرغ من تطريبه لا ترى من يقوم ذاهباً لأداء الصلاة فكأن الغاية المقصودة من اذاعة الأذان بالراديو انما هي هذا التطريب الذي صار به الأذان أغنية من الأغاني.

الاذان عند المسلمين

كان المسلمون قبل الهجرة يصلّون في مكة بلا اذان. لانهم كانوا مستضعفين غير احرار في عباداتهم. فلما هاجروا الى المدينة وبنى رسول الله مسجده فيها وصاروا يجتمعون فيه للصلاة مع رسول الله جماعة مست الحاجة الى اعلامهم بحينونة وقت الصلاة ليحضروا لاداءها.

فاستشار رسول الله اصحابه في هذا الامر فاشاروا بامور ما ارتضاها. وكادوا في النهاية ان يتخذوا الناقوس واسطة للاعلام كما تفعل النصارى. وبينما هم على هذا اذ رأى عبد الله بن زيد الانصاري في منامه رجلا لقنه صيغة الاذان المعلومة. فأتى رسول الله وقص عليه ما رأى. فقال رسول الله انها لرؤيا حق ان شاء الله. ثم قال لعبد الله قم مع بلال فألق عليه ما رأيت وليؤذن به فانه اندى (وفي رواية) امد منك صوتا.

اما صيغة الاذان التي رآها عبد الله فهي سبع كلمات كل واحدة منها جملة مستقلة. وهذه هي (١) الله اكبر (٢) اشهد ان لا اله الا الله (٣) اشهد أن محمداً رسول الله (٤) حي على الصلاة

القرآن في الراديو

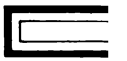

أما إذاعة القرآن بالراديو فالمصيبة فيها أعظم اذ من المعلوم ان القرآن كتاب مقدس وان قراءته عبادة في شرع الاسلام وانه يجب على المسلم أن يستمع له وينصت عند قراءته. ولذلك لا تجوز قراءته إلا في أماكن مقدسة كالمساجد، أو في أماكن خاصة كالبيوت ونحوها من الاماكن البعيدة من الضوضاء الخالية من الغوغاء النزيهة من اللغط والهذر. أما في المقاهي والمجتمعات العامة فتلاوته جديرة بأن تعد من عجائب المسلمين في هذا الزمان الذي أصبح السواد الأعظم منهم أقل به علماً وأبعد عنه فهما.

انظر الى هذه المقاهي في بغداد تجدها مملوءة بالناس من جميع أهل الملل والأديان وتسمع فيها لغطاً يصم الآذان. لأن الناس خاصة في العراق لم يتعودوا الهمس والتناجي في كلامهم بل هم يصخبون اذا تحدثوا. فلذا تسمع في هذه المقاهي لغطاً تتخلله أصوات فرقعة المهارك التي تضرب بها أكف اللاعبين بالنرد. ففي هذا اللغط وفي هذه الضوضاء تسمع أيضاً قراءة القرآن بالراديو، يصل صوت قارئه الى أذنيك من بين هذا الضجيج ضئيلا غير واضح بحيث يصعب عليك تمييز كلماته وحروفه كل التمييز خصوصاً إذا كنت جالساً بعيداً عن آلة الراديو. اذ ليس في الجالسين منصت ولا مستمع. وليس الجالسون كلهم بمسلمين بل فيهم اليهودي والمسيحي والصابئي. والمسلمون منهم ليسوا كلهم على حد سواء من أحوالهم الشخصية بل فيهم الصالح والطالح وفيهم المتقي والفاسق. وفيهم المؤمن والزنديق وفيهم الصاحي والسكران. وكلهم أجمعون حتى متقيهم ومؤمنهم مشغولون عن سماع القرآن بالكلام أو بغيره. ولو أنهم استمعوا له لما فهموه. فهل تجوز إذاعة القرآن بالراديو على مثل هذه الاخلاط من الناس وفي مثل هذا اللغط والضجيج. وهل هذا ابتذال لتلاوة القرآن أم صيانة واحترام.

لا جرم أن في إذاعة القرآن بالراديو ابتذالاً له وامتهاناً لتلاوته أولاً لأنه يذاع على من يؤمن به ومن لا يؤمن به، وعلى من يفهمه ومن لا يفهمه،

وعلى من يحترمه ومن لا يحترمه، وفي أماكن تصونه وأماكن لا تصونه. ثانياً لأن آلة الراديو تذيع أموراً لا تناسب القرآن ولا تماشيه. فهل من المستحسن في عرف المسلمين أن تذيع علينا القرآن ثم بعد فراغها منه تعقبه باذاعة صوت من أصوات المغنيات فنكون قد سمعنا القرآن والمغنية في مجلس واحد من آلة واحدة ونكون أيضاً قد جمعنا بين العبادة والدعارة في مجلس واحد ضم اخلاطاً من الناس فيهم المتقي والفاجر وفيهم المؤمن والكافر. ثم أن آلة الراديو موجودة حتى في المواخير، وقد تفتح هناك عند إذاعة القرآن كما شاهدته أنا بعيني وسمعته بأذني. ومن الغريب اني في ذلك المجلس تذكرت قول ابي العلاء المعري

مساجدكم ومواخيركم سواء فبعداً لكم من بشر

ثم ان القرآن لا يتلى لمجرد الاستماع له والانصات وإنما يتلى لتفهمه وتدبره والتفكر فيه وإلا لم تكن تلاوته عبادة يتقرب بها المسلم الى الله. فما الداعي إذن الى اذاعته بالراديو على غوغاء الناس وعامتهم في المقاهي والمجتمعات العامة. أولئك الذين لا ينصتون عند قراءته ولا يستمعون فضلا عن كونهم لا يفهمونه ولا يفتكرون فيه.

قد يرميني بعض الجاهلين بالزندقة ويحملون كلامي هنا على غير محمله. أما أنا فأقول لعنة الله على كل زنديق مرة واحدة ولعنة الله على الجاهلين الف مرة. وما أنا (والله شاهد عليم) الا مسلم ولكن لا كهؤلاء المسلمين. إنما أنا مسلم فحسب لا شيعي ولا سني، ولا حنفي ولا شافعي ولا غير ذلك. ثم اني في فهم دين الاسلام لا اتقيد من الاسلام الا بمبدئه الرفيع العام. فلا أكون تابعاً لغيري في فهم نصوصه بل اجتهد في فهمها بقدر ما آتاني الله من فهم وعقل. فاذا رأيت فيه ما لا يناله العقل حاولت تأويله فان عجزت وقفت عنده متحيراً ليس إلا. وهذا كل ما استطيعه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ثم أني احترم القرآن لا لكونه كتاباً مقدساً فقط بل لأن فيه ما يجب احترامه على كل من كان حر الفكر حر الضمير. فلو لم أكن مسلماً لاحترمته أيضاً بلا محاباة ولا مداجاة. فهذا هو الذي دعاني أن أقول ما قلته في إذاعة القرآن بالراديو. وبعد هذا فليقل الجاهلون ما شاءوا. وقد قلت قبلا:

لعمـــرك ان الحـــر لا يتقيد الا فليقل ما شاء في المفند

ومن الغريب أن دول الاستعمار الغربية التي هي اليوم منيخة بكلكلها الاستعمـاري على معـظم بلاد الاســلام قد أخذت في سبيل دعاياتها الاستعمارية تذيع القرآن بالراديو على بلاد الاسلام تمويهاً على المسلمين بأنها من محبي الاسلام وناصريه. حتى ان بعض ساستها لم يخجل من تصريحـه بأنه حامي الاسلام. وما هو في الحقيقة ولا غيره من ساسة الغـرب الا اعـداء الاسلام والمسلمين لا يريدون الا استعمار بلادهم وتثبيت سلطانهم عليهم. أمـا المسلمـون فانهم لفـرط غفلتهم وجهلهم يفـرحـون إذا سمعوا القرآن يذاع عليهم بالراديو من عواصم الدول الغربية. كأن القرآن ما انزله الله إلا ليذاع بالراديو فقط لا ليؤمنوا به أو ليحترموه ويحترموا أهله على الأقل. وتالله لو كان المسلمون اليوم على الاسلام الصحيح لاحتجّوا على دول الغرب من أجل إذاعتهم بالراديو كتابهم المقدس كما تذاع الأغاني.

وقد انفرد المسلمون من بين أهل الأديان باذاعة كتابهم المقدس في الراديـو على عامة الناس. فلا يفعل ذلك غيرهم من النصارى واليهود وغيرهم. مع ان عوام هؤلاء متمسكون بدينهم أكثر من عوام المسلمين. كما أنهم يفهمون كتابهم المقدس إذا تلي عليهم أكثر منهم. فلو انهم بدل اذاعـة القـرآن شرحوا لهم احكامه وفسروا لهم آياته تفسيراً يفهمونه لأفادوا واستفادوا.

ان هذه البـدعـة ابتـدعتها مصر في هذا القرن كما ابتدعت زيادة الصلاة على النبي بعد الأذان في القرن الثامن. فتبعها في هذه البدعة العراق وغيره حتى بلاد الغرب التي لا تؤمن بالقرآن. فعلى من ابتدعها وزرها ووزر من عمل بها من أهل الشرق والغرب. أما نحن فنبتهل الى الله تعالى قائلين اللهم لا تجعلنا من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

مقتل الحسين والفتن الاسلامية

ابتلي المسلمون بعد وفاة محمد رسول الله بفتن كثيرة لم تزل متتالية الى يومنا هذا. وقد ذابت في حميمها وحدتهم الاسلامية التي ذاق محمد بن عبد الله الأمرين في إيجادها من العدم بآياته المنزلة طوراً وبسيفه المنتضى تارة ساعياً، داعياً، جاهداً صابراً، مدارياً محارباً مدة ثلاث وعشرين سنة.

أول تلك الفتن فتنة الردة التي ارتد بها بعض قبائل العرب عن الاسلام. وتليها فتنة قتل الخليفة عثمان. ثم فتنة يوم الجمل. ثم فتنة يوم صفين. ثم فتنة يوم كربلاء ومقتل الحسين. ولم تزل الفتن متسلسلة الى يومنا هذا.

أما فتنة الردة فيجب ان نقطعها من السلسلة ونلقيها في حفرة يبلغ قعرها مركز الأرض حيث يصهرها ما هنالك من حرارة جهنمية تجعلها كأن لم تكن شيئاً مذكورا. ذلك لأنها سكنت ريحها وخفت جرسها وهمد أوارها وهي في مكانها قبل أن تخرج منه الى غيره. وما ذلك إلا بفضل ما قيضه الله لها من عزم الخليفة الأول أبي بكر، وسيف القائد الأكبر خالد بن الوليد.

ففتنة الردة لم تضر الاسلام شيئاً بل بقي بعدها علمه الخفاق عالياً مرفوعاً على الأعناق يسير كالشمس من شرق الى غرب. وإن كان فيها ما يدعو الى الأسى والأسف فهو ما سقط فيها من قتلى العرب الذين كانوا إذ ذاك مادة الاسلام. فلذا يصح أن نعتبرها كأنها لم تكن، وان نعتبر أول الفتن قتل عثمان.

الفتنة التي لا تنام

ان جميع هذه الفتن الاسلامية قد نسيت أو تنوسيت بمرور الأيام حتى اندملت جروحها أو كادت إلا فتنة واحدة وهي الفتنة التي نامت ثلاثة قرون ونصف قرن حتى جاءها (مذل الدولة) العباسية ابن بويه الفارسي فأيقظها وجدد أخلاقها ورقع خروقها ورتق فتوقها بكل ما عنده

من لؤم وخبث فاستيقظت وهي ثكلى تنوح بصوتها الحزين من جهة وتدعو الى الثأر والانتقام من جهة أخرى. ولم تزل كذلك الى يومنا هذا. والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

قد علمت أيها القارىء الكريم ان الفتنة التي لا تنام هي فتنة يوم كربلاء. ولقد مر على المسلمين ثلاثة قرون ونصف قرن وهم لا يذكرون شيئاً من هذه الفتنة إلا في كتبهم التاريخية فيتكلم عنها المؤرخ منهم ذاكراً أخبارها مصوراً صورتها كما يوحيه إليه رأيه فيها واعتقاده بأهلها ليس إلا. حتى جاء الطغامة الفارسي معز الدولة بن بويه الذي كان يلعب بالمطيع لله العباسي كما تلعب القطة بالفارة فجددها وبقي ينكأ قرحتها في كل عام مرة حتى تدمى. وهـو لم يرد بذلك الا تشتيت شمـل العـرب المسلمين بتفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم الاسلامية.

قال الامـام السيوطي في تاريخ الخلفاء: «وفي سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في خلافة المطيع لله الخليفة العباسي ببغداد الزم معز الدولة ابن بويـه في يوم عاشوراء الناس بأن تغلق الأسواق ويمنع الطباخون من الطبخ. ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منتشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن مآتم على الحسين. وهذا أول يوم نيح فيه على الحسين ببغداد واستمرت هذه البدعة سنين».

ان هذه البدعة المنكرة لم تزل باقية مستمرة في العراق على وجه أوسع وأشنع من هذا الذي ابتدعه ابن بويه. فإن الشيعة هنا يقيمون المناحات من أول المحرم الى اليوم العاشر منه وإن كانت النساء في بدعة ابن بويه يخـرجن منتشرات الشعور ويلطمن في الشوارع، فان الرجال أيضاً في عهـدنا يخرجون في الشوارع حاسري الصدور يلتدمون على صدورهم ويضربون بسلاسل من حديد على ظهورهم وينقفون بالسيوف جباههم حتى تسيل منها الدماء.

فلو رأيت صدور القوم حاسرة ... وكلهم قام بالكفين ملتدما
لقلت قول بريء من جهالتهم ... هذا لعمري بكاء أضحك الأمما

ولم يكتفوا بذلك بل هم يمثلون وقعة كربلاء تمثيلا همجياً فيمثلون الحسـين ومن معـه ويمثلون قاتليهم. ويحـرقون خيامهم حتى تنتهي

الواقعة بقتل الحسين. وهكذا يجددون هذه الفتنة في كل عام ليفتتن بها المسلمون فيقع بينهم الخلاف والنزاع ويقع التشاحن والتباغض باختلاف المذاهب والآراء. وقد أحسن الشاعر العراقي عبد الغفار الأخرس إذ قال:

قتلوا الحسين بكل عام مرة ... وتمثلوا بعداوة وتصوروا
ويلاه من تلك الفضيحة أنها ... تطوى وفي أيدي الروافض تنشر

قاتل الحسين في وقعة كربلاء

من هو قاتل الحسين في كربلاء؟ هذا ما نريد أن نتكلم عنه هنا فنقول: قيل ان الذي تولى قتله شمر بن ذي الجوشن وقيل غيره والصحيح أنه اشترك في قتله عدة رجال لأنه لم يمت من ضربة واحدة بل خر صريعاً الى الأرض وفيه جراحات عديدة لكل واحدة منها أثر في موته.

أما أنا فأقول إذا رجعنا بالحادثات الى أسبابها الأصلية البعيدة هانت في نظرنا الأسباب القريبة المباشرة وجاز لنا أن نحكم في القضية التي نريد قول الفصل فيها حكماً يستند الى سببها الأصلي البعيد غير المباشر. وان كنا لا نترك الأسباب القريبة خارجة عن ذلك الحكم. وبالنظر الى هذا نقول ان الذي قتل الحسين في كربلاء هو الحر بن يزيد التميمي ان لم يكن منفرداً بقتله فهو أول القاتلين. واليك بيان ذلك:

لما سار الحسين ومَنْ معه الى العراق بث ابن زياد سراياه في طريقه من كل أوب. فمن ذلك أنه أرسل الحر بن يزيد التميمي هذا في الف فارس. فالتقى بالحسين وجماعته قرب (شراف) من حدود العراق. فكلمهم الحسين وقال لهم نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم. وقال فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم ورجعت الى حيث كنت.

فقال له الحر أنّا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر. فأتى الحسين بخرجين مملوءين صحفاً فنثرها بين أيدي الحر وأصحابه. فقال الحر إننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا أنا إذا لقيناك لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله.

أقول ان الحر لو اكتفى باعتذاره الثاني الذي قال فيه «إنّا قد أمرنا أن نقدمك الكوفة على عبيد الله» لقلنا بأنه رجل ساذج بسيط وأنه صافي النية وأنه يعترف بما للحسين من منزلة رفيعة ومكانة علية، ولكن طاعته للأمـير إقتضت أن يمنـع الحسين من الرجوع الى الحجاز وأن يقدمه الكوفة على أميره وهو لا يعلم بما لهذا الأمر من عاقبة سيئة. ولكنه لم يكتف بذلك بل هو في أول الأمر أنكر على الحسين الكتب والرسل إذ قال له «إنّا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر» ولا ريب أن هذا القول منه يتضمن إنكار تلك الكتب واستنكارها أيضاً بدليل أن الحسين لما أخرج إليه الكتب قال له «إننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك». وهذا صريح في أنه كان من حزب أعداء الحسين، ان لم يكن من أعدائه الألداء فهو من أعدائه الأغبياء البتة.

وسواء كان عدواً أم غير عدو لا يكون من الغباء إلّا بحيث يعيى عن النظر في عواقب أمر خطير كأمر الحسين. ولذا نراه تجاه الحسين مصراً على تنفيـذ أمر ابن زياد. فإن الحسين بعد هذا الحوار أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا نحو الحجاز فمنعهم الحر. فقال له الحسين ما الذي تريد؟ قال أريد أن أنطلق بك الى الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين إذن والله لا اتبعك. فقال الحر إذن والله لا أدعك.

فهـذا الإصرار على المنع الجأ الحسين أن يسير نحو الكوفة مكرهاً والحر يساير بجيشه. وقد أراد الحسين في أثناء المسير أن يميل عنه نحو البادية حتى أخذ بمن معه ذات اليسار فمنعه الحر أيضاً، ورده نحو الكـوفـة حتى جاء به الى كربـلاء قريباً من الفرات. وهناك وقف الحر وأصحابه أمام الحسين ومن معه فمنعوهم من المسير فنزل الحسين بهذا المكان. ثم كان ما كان.

لا ريب أن هذا الرجل المسمى بالحر وما هو إلا عبد قن لو كان يملك نفساً حرة وعقلاً رزيناً وإيماناً صحيحاً ونظراً في عواقب الأمور بعيداً لكان في إمكانه أن يأخذ بأحد أمرين إما أن ينحاز بجيشه الذي يقوده الى الحسين على تقدير أن الجيش يطيعه، وإما أن يترك الحسين راجعاً الى الحجاز ويذهب هو أيضاً معه أو بعده على تقدير أن الجيش لا يطيعه

نابذاً هذه الأمرة التي أمره بها إبن زياد وراءه ظهرياً. ولكان بذلك قد حال دون وقوع هذه الفتنة التي ظل المسلمون يكابدون آلامها الممضة ونتائجها المخزية الى يومنا هذا.

ولكنه لم يفعل ذلك بل جاء بالحسين حتى وضعه في قبضة ابن زياد وبين سيوفه وحرابه. ثم رجع عن غيه حين لا تنفع الرجعة فقاتل مع الحسين حتى قتل. ولا شك ان الرجوع عن الغي من هذا الرجل الأفين الضعيف العقل والإيمان لم يكن الا كإيمان فرعون حين أدركه الغرق. فهو بهذا الرجوع الطائش لا يكفر عن جنايته الطامة. ولكن الشيعة قد جعلوا له قبراً يعبدونه كما يعبدون قبر الحسين. فسبحان من جعل الضلال هدى في نظر الضالين.

الاشتراكية في الاسلام

لو افتكر الانسان حراً لتجلت له الحقيقة بوجهها الأغر البهيج. أما إذا قيد فكره بأقوال الناس وتقاليدهم فلا يخرج في افتكاره من ظلمة إلّا الى أخرى. وقد تكون الحقيقة أمام عينيه ظاهرة واضحة إلا انه لا يراها لغشاوة في بصره من تلك التقاليد. فحرية الفكر هي العامل الوحيد الذي ينتشل المرء من هوة الضلال الى ذروة الحق والهدى.

إذا نظر المسلم الحر الفكر في الاسلام رأى فيه أموراً تنطبق تماماً على مبدأ الاشتراكية وتماشيه جنباً الى جنب. منها أنه جعل للفقراء حقاً في أموال الأغنياء. إذ فرض على هؤلاء أن يخرجوا في كل عام من أموالهم مقداراً معلوماً يدفعونه الى الفقراء وذلك هو الفرض المسمى بالزكاة.

ثم أنه لم يترك ذلك لرحمة الأغنياء وعطفهم بل جعل ولي الأمر وهو رسـول الله أو الخليفة من بعده مكلفاً بأخذ هذا المال منهم ورده الى الفقراء. اذ قال في سورة التوبة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها».

ولما كان ولي الأمر لا يستطيع بنفسه وحده أخذ هذا المال وجمعه جعل له «عاملين» يقومون بجبايته. وذكر ذلك في سورة التوبة أيضاً بقوله «انما الصـدقـات للفقـراء والمساكين والعاملين عليها...» وهم الجباة الذين يقبضونها. وخلاصة القول انه جعل لها ما يقال له في كلام أهل زماننا (تشكيلات إدارية حكومية).

فالزكاة بالنظر الى هذا حق مفروض للفقراء في أموال الأغنياء. وليست هي بصدقة بل إنما سميت صدقة لأن صدق المرء في دينه يظهر بأدائها. وإلا فهي حق واجب الأداء. وقد عبر عنها بالحق في آية أخرى من سورة المعارج. قال: «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» فالمراد بالحق هنا هو الزكاة بدليل وصفه بمعلوم لأن مقدار الزكاة التي تؤخذ من أموال الأغنياء مقدر معلوم كما هو مذكور في كتب الفقه الاسلامي. وإذا كان للفقـراء حق في أمـوال الأغنيـاء أفلا يكون هذا منطبقاً على مبدأ الاشتراكية تمام الانطباق؟

لا حق في أموال الزكاة إلّا للمعدم الضعيف

ثم أن الاسلام لم يجعل هذا الحق للمعوزين من الفقراء لمجرد كونهم فقراء. كلا! بل هم بحالاتهم في الفقر مختلفون متفاوتون فمنهم العاجز الضعيف ومنهم القوي المكتسب. وكان رسول الله يعطي الأول ويمنع الثاني. قال في زاد المعاد «وكان من هدي رسول الله أنه اذا علم من الرجل أنه من أهل الزكاة أعطاه.. وان سأله أحد من أهل الزكاة ولم يعرف حاله أعطاه أيضاً ولكن بعد أن يخبره بأنه لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

فمن هذا نعلم أن الشرع الاسلامي لا يعتبر للمرء حقاً في العيش إلا من عمله وكسبه. فالزكاة إنما هي للعاجز الضعيف لا للقوي المكتسب. وهذا ينطبق كل الإنطباق على مبدأ الاشتراكية الشيوعية التي لا تجيز أن تكون لأحد بسطة في عيشه إلّا بمقدار عمله. وما زاد عن ذلك فليس له بل للعموم.

ومما يدل على أن أموال الزكاة ليست في جبايتها كالضرائب التي تجبيها الحكومة لتجمعها في خزانتها، بل هي تجبى لتفرق وتوزع على الفقراء في محلها ما ذكره الرواة من أن رسول الله كان يفرق الزكاة على المستحقين الذين في بلد المال، وما فضل عنهم منها حمل إليه ففرقه هو. وذكروا أيضاً أنه أرسل معاذ بن جبل الى اليمن وأمره بأخذ الصدقة من أهلها وتفريقها على فقرائهم ولم يأمره بحملها إليه.

ان وجوب هذا الحق على الأغنياء يستند الى أمرين أحدهما التعاون المقضي به عليهم بحكم الإجتماع والذي ورد الأمر به في كتاب الله «وتعاونوا على البر والتقوى...» فإنهم يعيشون مجتمعين مع الفقراء مختلطين بهم بحيث تتألف من الجميع زمرة إجتماعية لحياة كل فرد منها صلة بحياة الآخر شاء أو أبى. ولا ريب أن كل زمرة اجتماعية من الناس تكون بمثابة بنيان واحد وكل فرد منها يكون بمثابة حجر في ذلك البنيان. فكما أن البنيان يشد بعضه بعضاً كذلك الذين يعيشون في مجتمع واحد يجب أن يشد بعضهم بعضاً بالتعاون. ولولا التعاون لما بقي للإجتماع معنى.

الثـاني ان الفقراء هم الاكثرون في كل زمرة إجتماعية. وهم أرباب الحرف وأصحاب الكد والعمل. فهم في الحقيقة هم المنتجون لكل ما في أيدي الناس. فليس من الحق ولا من المروءة والإنصاف أن يستأثر عليهم الأغنياء بأموالهم. ومن ثم صار لهم حق في أموال الأغنياء. وهذا هو مبدأ الزكاة وهو منطبق على مبدأ الاشتراكية كل الإنطباق.

الكنز حرام في الإسلام

قد يكون الكنز اسماً للمال المحرز في وعاء أو للمال المدفون في الأرض. غير أن المراد به هنا معناه المصدري أي جمع المال وادخاره. فان ذلك حرام في الاسلام. قال في سورة التوبة «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكـوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون».

إدعى بعضهم أن هذه الآيـة منسوخة بآية الزكاة وهي دعوى غير صحيحة. أولاً لأنها تستلزم تأخر آية الزكاة في النزول (وبعبارة أخرى) تستلزم تأخر فرض الزكاة عن آية الكنز. وهذا غير ثابت.

ثانياً ان كنز المال شيء والزكاة شيء آخر. والأول منهي عنه والثاني مأمور به ونسخ المنهي عنه إنما يكون بالإباحة. والزكاة التي هي إعطاء المال لا تتضمن إباحة كنزه. أي جمعه وإدخاره فكيف تكون ناسخة لها. فإن قلت من لم يكن له كنز لم تجب عليه الزكاة لأنه ليس بذي مال ومن كان كذلك فلا زكاة عليه، قلت ان وجوب الزكاة لا يتوقف على وجود الكنز بدليـل أن نصاب الزكاة هو عشرون مثقالاً من الذهب ومئتا درهم من الفضة فكل من ملك هذا المقدار زائداً عن حاجته وجبت عليه الزكاة. وبديهي أن هذا المقدار هو دون الكنز.

ثالثاً ان هناك قرائن تدل على أن آية الكنز متأخرة عن آية الزكاة. منها أنها لم تذكر الا مرة واحدة في سورة مدنية فقط. والزكاة ذكرت مراراً في سور مكية وفي سور مدنية. وهذا يدل بوضوح على أنها متقدمة في النزول على آية الكنز والمتقدم لا ينسخ المتأخر. ومنها أنه جاء في سورة التوبة

التي ذكرت فيها آية الكنز قوله تعالى «فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم».

ان هذه الآيـة مذكورة في أوائل سورة التوبة وآية الكنز مذكورة في أواخـرهـا. والخطاب فيها للمسلمين يأمرهم بقتال المشركين والتشديد عليهم بعـد انقضـاء المـدة التي ضربهـا لإمهالهم فقوله فيها «أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة» يستلزم أن الزكاة كالصلاة كانت مفروضة معلومة عند المخاطبين قبل نزول آية الكنز. وعليه ففرض الزكاة متقدم على نزول آية الكنز.

رابعـاً أن ابـا ذر الغفاري أحد أصحاب رسول الله كان على مبدأ الاشتراكية بأوسع معانيها. فكان بعد وفاة رسول الله يدعو المسلمين الى ترك الكنز. حتى انه لما ذهب الى الشام في أيام معاوية صار يدعو الى ذلك أيضاً ويشنع على معاوية وأمثاله من المثرين ما هم عليه من كنز الأموال وجمعهـا وإدخـارهـا حتى ضجر منه معاوية، وأراد ان يختبر صدقه فأعطاه ثلاثة آلاف دينار. ثم دعاه بعد بضعة أيام وفتش عن المال فلم يجد عنده شيئاً منه فسأله أين هو فقال فرقته على فقراء المسلمين. ولا ريب أن أبا ذر هذا صحابي جليل كان له إتصال برسول الله فهو حجة في إثبات ما نحن فيه. فلو كانت آية الكنز منسوخة لما قال بتحريم الكنز ولا دعا المسلمين الى تركه.

خامسـاً جاء في الأحـاديث النبوية ما يوافق آية الكنز التي تحرمه وتنهى عنـه ومـا يخـالفهـا. ولا ريب أن أصح الأحاديث النبوية هي الأحاديث التي يؤيدها القرآن. فيجب أن تعتبر صحيحة وان ضعفت أسانيدها. وما خالف القرآن من الأحاديث يجب أن يعتبر غير صحيح وان صحت أسانيده. لأن القرآن قطعي الورود وان كان ظني الدلالة. فمن الأحاديث التي جاءت موافقة للقرآن في تحريم الكنز ما رواه سالم بن الجعد أنه لما نزلت آية الكنز قال رسول الله تباً للذهب تباً للفضة. قالها ثلاثاً. فقالوا له اي مال نتخذ يا رسول الله. قال لسانا ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه. ومنها ما روي عن رسول الله أيضاً

«من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها» ومنها انه توفي رجل فوجد في مئزره ديناران. فقال رسول الله كية. وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران. فقال كيتان. وأما قولهم بأن هذا كان قبل فرض الزكاة فباطل لأن فرض الزكاة متقدم على آية الكنز، كما مر ذكره.

مقدار الكنز

لا ريب أن دين الاسلام هو دين التيسير لا تشديد فيه ولا تعسير كما جاء في القرآن «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» فليس من الموافق لنهج الاسلام أن يكون الكنز محرماً على الاطلاق بل يلزم أن يكون له حد محدود ومقدار معلوم. غير أنه لم يرد في الأثر ما يدل على تعيين هذا المقدار، سوى ما روي عن علي بن ابي طالب أنه قال «أربعة آلاف فما دونها نفقة وما زاد فهو كنز» كما ذكره الزمخشري في الكشاف. ولا شك أن علي بن أبي طالب لم يقل ذلك من عنده بل قاله عن علم تلقاه من رسول الله فهو حجة في هذا الباب. ومهما يكن فمن الجائز أن يقال بأنه يجوز كنز المقدار الذي يسد الحاجة ويقوم بالنفقة وهذا المقدار يختلف باختلاف الأشخاص كما يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال. ومهما يكن هذا المقدار فلا بد أن يعد كنزا كل ما زاد على الحاجة والنفقة.

وقد جاء في الحديث النبوي ما يدل على هذا ويؤيده. وذلك في حديث وفد الأزد. فقد ذكروا أنهم لما دخلوا على رسول الله وتكلموا بين يديه أعجبه ما رأى من سمتهم وما سمع من كلامهم وسألهم عن أمور أحسنوا فيها الجواب حتى قال معجباً بهم: «حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» ثم قال لهم «ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون...» الى آخر الحديث كما في زاد المعاد.

فقوله «لا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون» صريح في أنه لا يجوز إدخار ما زاد على الحاجة ولا بناء ما زاد على دار للسكنى. على أن هذه العبارة تتضمن نفي الملك أيضاً، اذ المفهوم منها أنه ليس للمسلم ان يملك أكثر من دار واحدة لسكناه فقط.

النتيجة

كل ما ذكرناه لك فيما تقدم يريك بوضوح أن دين الاسلام بعيد كل البعد عن (الرأسمالية) الجشعاء الظالمة المستبدة بنعم الله التي جعلها مشاعة بين خلقه. كما أنه بمبادئه الحقة منطبق كل الانطباق على مبدأ (الاشتراكية الشيوعية) التي تبطل الملك ولا تجعل للمرء بسطة في عيشه إلا بمقدار ماله من كل دائب وعمل منتج.

ولكن الجهلاء يسمون هذه المباديء السامية بالمباديء الهدامة وهي كذلك لعمر الله هدامة، إلا أنها لا تهدم إلا ما هم عليه من ضلال وباطل. حيث نراهم بجشعهم واستئثارهم يمثلون الهمجية (الاقطاعية) على وجه لم يسبق له نظير في العصور المظلمة. فنرى الواحد منهم يملك القناطير المقنطرة والعقارات الكثيرة والأراضي الواسعة والقصور العالية تمر به الأيام والليالي وهو في قصف ولهو. وحوله الوف من الناس الفقراء الذين لا يجد احدهم كوخاً يسكنه ولا رغيفاً يقتاته. وهم كما وصفهم رسول الله «الشعث الرؤوس الدنسو الثياب الذين لا تفتح لهم السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره».

فبالله عليك أيها القاريء الكريم من ذا الذي هو أشد احتياجاً منا الى معاول هدامة نهدم بها بنيان أباطيلهم هذه على رؤوسهم الجوامح ونبني مكانها صروح الحق عالية في ساحة المساواة العادلة والحياة الحرة. وان ربك لبالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الاشتراكية والاسلام

لو افتكر الانسان مرة تجلت له الحقيقة بوجهها الابلج. اما اذا قيد فكره باقوال الناس وتقاليدهم فلن يخرج فى افكاره من ظلمة الآراء الاخرى. وقد تكون الحقيقة امام عينيه ظاهرة واضحة لو انه لا يراها لشاهدة فى بصره من تلك التقاليد. فحرية الفكر هى العامل الوحيد الذى ينتشل المرء من هوة الضلال الى ذروة الحق والهدى.

مؤلفات الرصافي
وما كُتب عنه

التصفيق

كان العرب في القديم اذا رأوا امرا يكرهونه او سمعوا كلاما ينكرونه صفقوا استنكارا له وتعجبا منه. كما يدل على ذلك ما فعله كفار قريش لما قال لهم رسول الله وهم عند عمه ابي طالب « اعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم »، فقال ابو جهل نعم وابيك وعشر كلمات. فقال رسول الله: « تقولون لا آله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه ». فصفقوا بايديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد ان تجعل الآلهة آلهاً واحداً ان امرك لعجب.

وقد صار الناس اليوم يستعملون التصفيق للاستحسان و للتعظيم والاجلال كما يفعلون ذلك اليوم في مجتمعاتهم اذا استحسنوا كلاما سمعوه او استقبلوا رجلا عظيما اجلّوه واحترموه. الا ان هذه العادة فيهم حديثة لم يكونوا يعرفونها من قبل وانما انتقلت اليهم من أهل الغرب. وهم وان كانوا قد تعودوها الا انهم لم يزالوا يخطئون مواقع استعمالها احيانا فلا يصيبون الغرض المطلوب منها كما يصيبه اهل الغرب. حتى ان التصفيق الذي تراه ونسمعه في مجتمعاتهم وحفلاتهم يكون مصدره في الاكثر من رجل واحد

مؤلفات الرصافي

(أ) المطبوعة

١ ـ **ديوان الرصافي**، الطبعة الأولى، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩١٠
الطبعة الثانية، مطبعة المعرض، بيروت، ١٩٣٢
الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٥٩

٢ ـ **الرؤيا**، رواية مترجمة عن التركية للأديب التركي نامق كمال، نشرت ببغداد عام ١٩٠٩.

٣ ـ **دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة**، مطبعة (صداي ملت)، استانبول، سنة ١٣٣١هـ (توافق ١٩١٢م).

٤ ـ **نفح الطيب في الخطابة والخطيب**، (مجموعة المحاضرات التي ألقاها في مدرسة الواعظين بالأستانة)، مطبعة الأوقاف الإسلامية بالأستانة سنة ١٣٣٦ هجرية الموافقة لسنة ١٩١٧م.

٥ ـ **الأناشيد المدرسية**، نشرت في القدس عام ١٩٢٠ ومع كل نشيد لحنه بالنوتة الموسيقية.

٦ ـ **محاضرات الأدب العربي**، (مجموعة المحاضرات التي ألقيت على مدرّسي المدارس الرسمية في بغداد)، مطبعة العراق، بغداد، ١٩٢١.

٧ ـ **تمائم التربية والتعليم**، (رسالة شعرية)، بيروت، ١٩٢٤.

٨ ـ **صلاح اللغة العربية للتدريس وما يجب ان يكون عليه مدرّس اللغة العربية**، (محاضرة ألقاها في البصرة حين كان مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف)، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦.

٩ ـ **دروس في تاريخ اللغة العربية**، (مجموعة المحاضرات التي أُلقيت على طلّاب دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٩٢٨).

١٠ ـ **رسائل التعليقات**، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٤.

١١ ـ **على باب سجن أبي العلاء**، (تعليقاته على كتاب مع أبي العلاء في سجنه لطه حسين)، دار الحكمة للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٤٦.

١٢ ـ **عالم الذباب**، (رد على ما جاء في رسالة «عالم الذباب» للدكتور فائق شاكر)، بغداد، ١٩٤٦.

١٣ ـ **الأدب العربي ومميزات اللغة العربية**، بغداد، ١٩٥٢.

١٤ ـ **آراء أبي العلاء المعرّي**، بغداد، ١٩٥٥.

١٥ ـ **نظرة إجمالية في حياة المتنبي**، بغداد، ١٩٥٩.

ب ـ (المخطوطة)

١ ـ **الشخصيـة المحمدية أو حل اللغز المقدس**، (نسخة مصورة منه في مكتبة المجمع العلمي العراقي).

٢ ـ **الأدب الرفيع في ميزان الشعر**، (مجموعة محاضراته التي القاها على طلّاب دار المعلمين العالية ببغداد في علم العروض والقافية).

٣ ـ **الرسالة العراقية**، (بحث في السياسة والدين والاجتماع، كتبه في الفلوجة عام ١٩٤٠).

٤ ـ **كتاب الآلة والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات**

٥ ـ **دفـع المراق في كلام اهل العراق**، وهو محاولة لرد اللغة العامية العراقية إلى أصـولهـا والمصادر التي انتقلت منها إليها، والتعريف بمعاني الأمثال البغـداديـة وشرح كلماتها. وقد نشر جزء من هذا الكتاب في مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها الأب انستاس الكرملي في بغداد عام ١٩٢١، ثم نشرت أجزاء أخرى في جريدة (حبر بوز) التي كان يصدرها نوري ثابت في بغداد أيضاً. وقد نشر القسم الأول منها في العدد (١٦) الصادر في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٢ ثم في أربعة أعداد تالية.

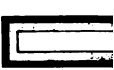

كتب عن الرصافي

١ ـ **الدكتور ابراهيم الكيلاني**، معروف الرصافي ـ دراسة أدبية ونفسية واجتماعية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨.

٢ ـ **الدكتور احمد مطلوب**، الرصافي: آراؤه اللغوية والنقدية، القاهرة، ١٩٧٠.

٣ ـ **الدكتور بدوي احمد طبانة**، معروف الرصافي: دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٧، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٧.

٤ ـ **الشيخ جلال الحنفي**، الرصافي في أوجه وحضيضه، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢.

٥ ـ **رؤوف الواعظ**، معروف الرصافي ـ حياته وأدبه السياسي، دار الكتاب بمصر، القاهرة، بلا تاريخ (حوالي ١٩٦١).

٦ ـ **سعيد البدري ونعمان ماهر الكنعاني**، الرصافي في أعوامه الأخيرة، بغداد، ١٩٥٠.

٧ ـ **سعيد البدري**، آراء الرصافي في الدين والاجتماع، بغداد، ١٩٥١.

٨ ـ **سعيد البدري**، ذكرى الرصافي، بغداد، ١٩٥٩.

٩ ـ **عبد الحميد الرشودي**، ذكرى الرصافي، بغداد، ١٩٥٣.

١٠ ـ **عبد الصاحب شكر**، المنهل الصافي من أدب الرصافي، بغداد، ١٩٥٠.

١١ ـ **عبد الصاحب شكر**، عبقرية الرصافي، بغداد، ١٩٥٨.

١٢ ـ **عبد اللطيف شرارة**، الرصافي، مكتبة دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

١٣ ـ **الدكتور عبد الله الجبوري**، الرصافي ـ نقد وتعريف، بغداد، ١٩٦٠.

١٤ ـ **قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي**، معروف الرصافي شاعر العرب الكبير: حياته وشعره، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.

١٥ ـ **مصطفى علي**، أدب الرصافي: نقد ودراسة، القاهرة، ١٩٤٧.

١٦ ـ **مصطفى علي**، الرصافي، صلتي به، وصيته، مؤلفاته، القاهرة، ١٩٤٨.

١٧ ـ **مصطفى علي**، محاضرات عن الرصافي، منشورات معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٣.

١٨ ـ **مهرجان الرصافي**، الكلمات التي القيت في المهرجان الذي اقيم لإحياء ذكرى الرصافي في بغداد عام ١٩٥٩.

١٩ ـ **هلال ناجي**، القومية والاشتراكية في شعر الرصافي، بيروت، ١٩٥٩.

كتب عرضت للرصافي أو تضمنت فصلا عنه

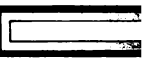

١ ـ **احمد ابو السعد**، الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨.

٢ ـ **احمد فيّاض المفرجي**، المرأة في الشعر العراقي الحديث، بغداد، ١٩٥٨.

٣ ـ **امين الريحاني**، قلب العراق، (الأعمال الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٤ ـ **امين الريحاني**، سلوك العرب: فيصل الأول (الأعمال الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٥ ـ **انيس المقدسي**، أعلام الجيل الأول من شعراء العربية في القرن العشرين، بيروت، ١٩٧١.

٦ ـ **الدكتور جميل سعيد**، نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق، القاهرة، ١٩٥٤.

٧ ـ **خير الدين الزركلي**، الاعلام، الجزء الثامن، الطبعة الثالثة (بلا تاريخ) ص ١٨٤.

٨ ـ **الدكتور داود سلوم**، مقالات عن الجواهري وآخرين، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١.

٩ ـ **رفائيل بطي**، الأدب العصري في العراق العربي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٣.

١٠ ـ **الدكتور سليم داود**، تطور الفكر والأسلوب في الأدب العراقي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠.

١١ ـ **الدكتور شوقي ضيف**، دراسات في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، ١٩٥٩.

١٢ ـ **عبد الكريم الدجيلي**، محاضرات عن الشعر العراقي الحديث، القاهرة، ١٩٥٩.

١٣ ـ **مارون عبود**، على المحك: نظرات وآراء في الشعر والشعراء، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٦.

١٤ ـ **محمد بهجة الأثري**، المدخل في تاريخ الأدب العربي، بغداد، ١٩٣٨.

١٥ ـ **الدكتور يوسف عز الدين**، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

مقالات مختارة عن الرصافي

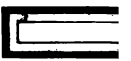

١ ـ **ابـراهيم الوائلي**، الرصافي والتاريخ ،. جريدة (الأخبار)، بغداد، ١٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٩.

٢ ـ **احمد حسن الزيات**، الرصافي، مجلة (الرسالة)، القاهرة، العدد ٦١٢، ٢٦ آذار ١٩٤٥.

٣ ـ **بسيم الذويب**، الرصافي الثائر، جريدة (الزمان)، بغداد، ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٥٩.

٤ ـ **حسن كامل الصيرفي**، ديوان الرصافي، مجلة (أبولو)، القاهرة، يناير ١٩٣٤.

٥ ـ **حسين مروة**، الرصافي في موكب الثائرين الخالدين، مجلة (الثقافة الوطنية)، آذار، ١٩٥٩.

٦ ـ **رفائيل بطي**، الرصافي ، مجلة (الأديب)، بيروت، المجلد الرابع، ١٩٤٥.

٧ ـ **الدكتور صالح جواد الطعمة**، الوعي الفكري في شعر الرصافي، مجلة (الثقافة الجديدة)، بغداد، آذار (مارس)، ١٩٥٩.

٨ ـ **الدكتور صفاء خلوصي**،

Dr. S. Khulusi, (Ma'ruf al-Rasafi)
Bulletin of S.O.A.S., Vol. XIII, Part 3, London, 1950.

وقد ترجم هذا البحث الى اللغة العربية في كراسة بعنوان «الرصافي» بقلم عبد الجبار السامرائي، بغداد، ١٩٥٣.

٩ ـ **الدكتـور عبد الوهاب السلوم**، الاتجاهات الانسانية لدى الرصافي، جريدة (الأهالي)، بغداد، ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٥٩.

١٠ ـ **قاسم الخطاط**، صفحات مطوية من حياة الرصافي، مجلة (الهلال)، القاهرة، العدد الخامس، أيار (مايو)، ١٩٦٤.

١١ ـ **محمد شرارة**، الروح الوطنية في شعر الرصافي، جريد (الحضارة)، بيروت، العدد (٩) السنة (٢٢).

١٢ ـ **مهـدي قزاز**، الشـاعران الرصافي والزهاوي، مجلة (الأديب)، بيروت، أيلول (سبتمبر)، ١٩٤٤.

١٣ ـ **نجـدة فتحي صفوة**، الرصافي والزهاوي، مجلة (الكتاب)، القاهرة، السنة السابعة، العدد ٣، المجلد ١١، آذار (مارس) ١٩٥٢.

١٤ ـ **نجـدة فتحي صفـوة**، أين أصدقاء الرصافي وأين طلابه؟ بمناسبة إزاحة

الستار عن تمثال الرصافي في بغداد، جريدة (الجمهورية)، بغداد، ١٩٧٠/١٢/٢١.

١٥ ـ **افتتاحيات الصحف العراقية اليومية**، بمناسبة عقد مهرجان الرصافي في بغداد، ١٦ ـ ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٥٩.

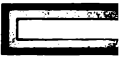

أعداد خاصة عن الرصافي

١ ـ جريدة (الأخبار) البغدادية العدد (٣٦٩٨) الصادر في ١٤ آذار (مارس) يحتوي على مقالات عن الرصافي لنعمان ماهر الكنعاني، صفاء خلوصي، سعيد البدري، محمود العبطة، غازي العياش، مهدي الجبوري، مشكور الأسدي.

٢ ـ مجلة (الوادي) ـ عدد خاص بمناسبة ذكرى الرصافي، العدد ١٥ الصادر في ١٤ آذار (مارس) ١٩٥٩، فيه بحث بقلم كامل الجادرجي عن كتاب الرصافي «الشخصية المحمدية»، وحديث لمحمد رضا الشبيبي عن ذكرياته مع الرصافي ورأيه في شعره السياسي، وحديث مع منير القاضي، رئيس المجمع العلمي العراقي عن الرصافي وذكرياته عنه، ومقال بقلم مصطفى علي «دفاع الرصافي عن حرية الصحافة».

ونشرت المجلة أيضاً وثيقة عن الرصافي، هي رسالة بخطه الى كامل الجادرجي مؤرخة في ١٩/٤/١٩٤٤ يشير فيها الى احترافه مهنة بيع السجائر، ومقالة بقلم خالد الدرة بعنوان «الهاربون من جهنم»، ومقالة للأستاذ محمد بهجة الاثري «ذكريات عن الرصافي»، وكلمة عنه بقلم محي الدين اسماعيل عن ذكرى الرصافي.

٣ ـ مجلة (الثقافة الجديدة) : عدد خاص عن ذكرى الرصافي. العدد الثاني، آذار (مارس) ـ نيسان (ابريل) ١٩٥٩ فيه بحوث منوعة عن الرصافي منها بعد تصدير المجلة:

(أ) «الرصافي شاعر الكادحين» ـ بقلم صلاح خالص.

(ب) «الرصافي ومذهبه الاجتماعي» ـ بقلم وديعة طه النجم.

(جـ) «الرصافي بين المحافظة والتجديد ـ الجانب اللغوي» ـ بقلم ابراهيم السامرائي.

(د) «الرصافي والإبداع الفني» ـ بقلم محمد شراره.

(هـ) «ثورة الرصافي» ـ بقلم يوسف عز الدين.

(و) «الرصافي المصور الثائر» ـ بقلم فريد الطاهر.

٤ ـ مجلة (ألف باء)، بغداد، العدد ٥٤٦، السنة الحادية عشرة، ١٤ آذار (مارس) ١٩٧٩. ملف عن الرصافي بمناسبة مرور ١٤ عاماً على رحيله، مقالات وذكريات بقلم رشيد الرماحي وخيري العمري وعبد القادر البراك وصادق الأزدي.